دار الراتب الجامعية - سوفنير

4

مُدن وشعوب اسلامية

ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية

- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري -



مُدن وشعوب اسلاميَّة

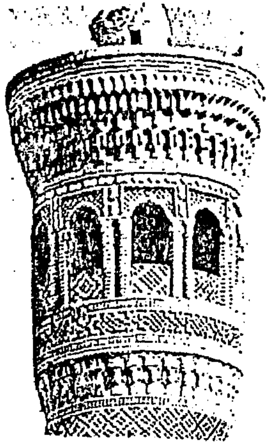
ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية

- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والحضاري -

الدكتور حسّان حلاق

4: الكتاب الرابع

دار الراتب الجامعية - سوفنير



سمرقند

تقع سمرقند في بلاد ما وراء النهر حسب التعابير التاريخية، وهي اليوم ثاني مدن جمهورية أوزبكستان السوڤيتية. وكانت من المدن الإسلامية الهامة في الجناح الشرقي لذيار الإسلام. وكانت سمرقند عاصمة بلاد ما وراء النهر لمدة خمسة قرون منذ عهد السامانيين إلى عهد التيموريين. وقد أطلق عليها الرحالة العرب اسم «الياقوتة» الراقدة على ضفاف نهر زارافشان. وهي المنافسة التاريخية لبخارى، وهي العاصمة الرائدة التي أعدها تيمورلنك لتحتل الصدارة في عهده.

وكان لسمرقند عبر التاريخ سور قديم وأربعة أبواب: هي باب الصين الذي يقود إلى الشرق، وباب بخارى إلى الشمال، وباب النوبهار إلى الغرب، والباب الكبير أو باب كش إلى الجنوب الذي يرتبط باسم بلدة كش موطن تيمور الأصلي. وقد أشار الأصمعي بأنه وجدت كتابة بالعربية اليمنية الحميرية عند باب بخارى هذا نصها: «بين المدينة وبين صنعاء ألف فرسخ وبين بغداد وبين أفريقية ألف فرسخ، وبين سجستان وبين البحر مائتا فرسخ، ومن سمرقند إلى زامين سبعة عشر فرسخاً». سكان سمرقند حوالى ٣٠٠ ألف نسمة. مناخها قاري كالمناخ السائد في آسيا الوسطى.

وكانت فتوحات المسلمين لمناطق وراء نهر جيحون قد بدأت منذ عام ٤٦ للهجرة. وقد فتحت سمرقند بقيادة قتيبة بن مسلم في عام ٦٨ للهجرة. وتقدم الإسلام منها إلى الصين والهند وروسيا ذاتها، حتى إن الأراضي الروسية ظلت خاضعة للسيطرة التترية الإسلامية لمدة ثلاثة قرون، بل كان دوق موسكو يدفع الجزية سنوياً لأمير بخارى. هذا وقد ورد ذكر سمرقند ووصفها لدى الكثير من المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين أمثال: الأصطخري وابن بطوطة وابن الأثير وياقوت الحموي، فأشاروا إلى موقعها وملامحها وخيراتها وعلمائها ومزاراتها وواقع الإسلام والمسلمين فيها. وأشارت المصادر التاريخية إلى أن سمرقند مرت عبر تاريخها بويلات وكوارث كان أهمها ثلاث: تدمير الاسكندر لها عام ٣٢٩ قبل الميلاد، وكانت تعرف وقتذاك باسم «مرقندا». والمرة الثانية التي تعرضت فيها للتدمير كانت في عهد جنكيزخان عام ٦١٧ هجرية ـ ١٢٢٠ ميلادية. أما التدمير الثالث فكان على أيدي الأوزبك حوالى منتصف القرن التاسع الهجري ـ القرن الخامس عشر الميلادي. وكانت قبائل الأوزبك حتى هذه الفترة لم تعتنق الإسلام.

والأمر الملاحظ إن المعالم الإسلامية العديدة في سمرقند لا تزال إلى اليوم تميز ملامحها وأهلها وآثارها. ومن أهم معالمها الأثرية التي تشهد على تاريخ المسلمين في سمرقند منشآت «شاه زنده» وتتضمن الكثير من المؤسسات والآثار الإسلامية منها: ضريح قثم بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي محمد ﷺ، الذي قيل بأنه استشهد في فتح سمرقند عام ٥٧ هجرية. وأقيم له ضريح على غاية من الروعة والجمال، غير أن تاريخ البناء الموجود حالياً

يعود لعام ٧٥٣ هجرية، وهو قد يكون تاريخ تجديد الضريح. وقد أشار ابن بطوطة في رحلته، بأن أهل سمرقند يخرجون كل ليلة اثنين وجمعة لزيارته، والتتر يأتون لزيارته وينذرون له النذور العظيمة، ويأتون إليه بالبقر والغنم والدراهم والدنانير. ويضم الضريح ثلاث قاعات ومسجد وغرفة للعبادة والصوم.

والواقع فإن «شاه زنده» التي تعني «الملك الحي» تحولت بسبب ضريح ابن عم الرسول ﷺ إلى مجموعة من الأضرحة والمنشآت الدينية تقرباً وتكريماً. وكان ذلك كفيلاً بأن يوفر للأضرحة المقامة حول ضريح قشم وللمساجد أسباباً عديدة للعناية بها والإنفاق الكثير عليها، جعلت منها قطعاً فنية رائعة، واجتمعت لأجلها قدرات أمهر الفنانين والبنائين في عهد تيمورلنك وبعده، حتى أصبحت مجموعة «شاه زيده» من أهم التراث المعماري الفريد في آسيا.

وفي هذه المنطقة الأثرية الدينية مساجد حُوِّل بعضها إلى متحف لتاريخ الفن والحضارة في أوزبكستان، ومدارس عديدة. كما يوجد ضريح بُني فوق قبر العالم الفلكي قاضي زاده الرومي أستاذ الأمير أولوغ بك حفيد تيمورلنك وأمير سمرقند فيما بعد. كما توجد أيضاً مجموعة من الأضرحة تعود إلى القرن الرابع عشر الميلادي عندما اختار تيمورلنك سمرقند عاصمة له. ومن الأضرحة المشهورة ضريح «طوغلوتكين» إحدى الأميرات المغوليات. وإلى جواره ضريح آخر عرف باسم «أمير زاده». وبجانبه مصلى صغير اسمه «زيارة خانه» غطيت جدرانه بنقوش كثيفة تلمع رغم الظلام النسبي الذي يسود المكان. وهناك ضريح هام هو بمثابة تحفة

معمارية وفنية هو ضريح الأميرة «شيوين بيكه آقا» شقيقة تيمورلنك. كما يوجد ضريح آخر لشقيقة أخرى لتيمورلنك هي الأميرة «تركان آقا».

ومن الملامح والمنشآت المميزة في منطقة «شاه زنده» مجموعة كاملة من المباني أنشئت بأمر من الأميرة «ترمان آقا» زوجة تيمورلنك، وتضم مسجداً (خانقاه) وضريح «ترمان آقا» الذي لا يقل روعة وجمالاً عن أي ضريح آخر في «شاه زنده» بل ويزيد عليها جميعاً ببوابة مكسوة بالفسيفساء ليس كمثلها بوابة أخرى. كما تضم هذه المجموعة حجرة متوسطة للخدمة.

ومن معالم سمرقند في شرق ميدان ريكستان، المسجد الجامع الذي شُيد في أواخر القرن الرابع عشر، ويطلق عليه اسم «مسجد بي بي خانم» زوجة تيمورلنك الكبرى. ويذكر بأن تيمورلنك هو الذي وضع أسس المسجد في أعقاب حملته الناجحة على الهند. وفي الجانبين الشمالي والجنوبي من المسجد يقوم مسجدان صغيران لكل منهما قبة تواجه الأخرى.

ومن معالم سمرقند الأثرية البارزة، مرصد الأمير أولوغ بك المقام عند سفح هضبة «تشو بان آقا». وقد بناه الأمير أولوغ بين عامي ١٤٢٨ ـ ١٤٢٩ م، وهو يحمل قيمة علمية وتاريخية. فقد كان من أكبر المراصد العلمية في الشرق. وكان أولوغ ذاته فلكياً بارزاً في العالم خلال العصور الوسطى. وله مؤلف ضخم باسم «الجداول الفلكية الجديدة» ضمنه كتالوج لـ«١٠١٩» نجمة مرتبة وفقاً للأبراج والازياج. وكان هذا المرصد مقاماً من ثلاثة طوابق، ضمت الأدوات الفلكية وأدوات الرصد.

ومن المعالم الأثرية الهامة في سمرقند ضريح الإمام البخاري الواقع في ضاحية سمرقند عند مشارف قرية «باي اريق» حيث دفن هناك بعد وفاته في القرن الثالث الهجري عن اثنين وستين سنة، وذلك بعد هجرته من بخارى. وقد زار الضريح ابن بطوطة بعد وفاته بخمسمائة عام، وكان مدفوناً إلى جواره عدد من علماء بخارى. وقد أقيم بالقرب من ضريحه قبل سنوات قليلة مسجد حديث في أواخر السبعينات من هذا القرن. وإلى اليوم لا ينقطع المسلمون في سمرقند وضواحيها عن زيارة ضريح الإمام البخاري تبركاً وتقرباً حتى أن من العادات المألوفة إلى اليوم، هي زيارة العريس وعروسه الضريح لقراءة الفاتحة وليبارك الله هذا الزواج. وهي عادة شائعة عند الأوزبك، كما هي شائعة في بعض مناطق العالم الإسلامي. وكما هي شائعة عند مسلمي مدينة الاسكندرية الذين يزورون مسجد ومقام سيدي المرسي أبو العباس في جولة دينية بعد عقد القران، وكما كان يفعل أهل بيروت في العهد العثماني عندما كان العريسان يزوران مقام سيدي الإمام الأوزاعي.

ومن ملامح سمرقند أيضاً قبر تيمورلنك، حيث يتميز بقبته الباهرة التي تعلو الضريح. وهي قبة فيروزية مضلعة ومكسوة بكم هائل من زخارف الفسيفساء. ويسمى هذا الضريح باسم «كور أمير» أو مدفن خلفاء الأمير تيمور. وكورامير يطلق أيضاً على مجموعة من المباني المرتبطة باسم حفيد تيمور المعروف باسم محمد سلطان وتضم هذه المجموعة مدرسة خانقاه، والضريح الملحق بالمسجد، ومبان عديدة تطل مئذنة من كل ركن فيها. كما يتميز البناء بوجود حجر المرمر الرمادي السداسي الشكل وهو حجر العرش الذي لا يزال يطلق عليه الاسم التقليدي له «كوك طاش».

ومن أهم مدارس سمرقند التاريخية في قلب ميدان ريكستان ثلاث مدارس هي: مدرسة أولوغ بك، ومدرسة شيرادار أي عرين الأسد، ومدرسة طلا كاري أي المطلية بالذهب.

ومدرسة «اولوغ بك»، ذات واجهة مهيبة وعالية، وتنتصب حول بوابتها مئذنتان عاليتان، وتظهر قبة في ركن جانبي، والكل حافل بالنقوش البديعة. وكانت المدرسة تضم (٥٠) غرفة للدراسة والإعاشة ويدرس بها حوالى مائة طالب ثم ازداد العدد إلى أكثر من ذلك. وكان المبنى يشتمل على طابقين وأربع قباب عالية فوق قاعات الدراسة الركنية (درس خانه). وكان اولوغ بك قد تولى بنفسه التدريس في هذه المدرسة.

أما مدرسة «شيرا دار» فقد كانت في الأساس زاوية للصوفيين ومسجداً لهم. ثم أقام حاكم سمرقند في المكان ذاته هذه المدرسة العظيمة الموجهة لمدرسة اولوغ بك. ولكن الناظر إلى واجهتها لا يظنها مدرسة نظراً للفخامة والعظمة والروعة المعمارية التي تتميز بها لا سيما بابها وقببها والمنارتان اللتان انتصبتا بشموخ على مداخلها.

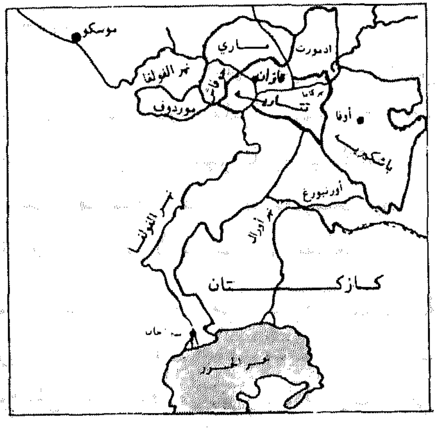
أما مدرسة «طلا كاري» فهي المدرسة الذهبية الفخمة التي تمثل المضلع الثالث في ميدان ريكستان، ويلاصقها المسجد. وهي تتميز بفن معماري جذاب وبثروة في الألوان والزخارف. وهي من بناء القرن السابع عشر الميلادي أي حوالى عام ١٦٤٦ م.

هذه المدارس الدينية والعلمية توقفت رسالتها الإسلامية بعد أن تحولت منذ عام ١٩١٨ إلى مبانٍ أثرية سياحية. وكانت

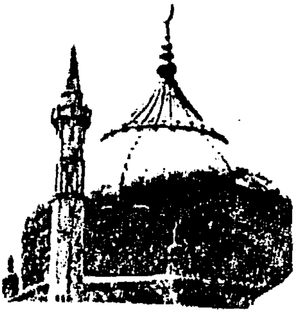
التحولات في هذه المناطق الإسلامية قد بدأت خطورتها تظهر عندما سقط بيد الروس أول حصن إسلامي عام ١٨٥٢ هو حصن «آق مسجد» في بلاد ما وراء النهر. وبينما كانت الدولة العثمانية تهدد في منتصف القرن السادس عشر وسط أوروبا وتزحف إلى افريقيا وآسيا، كانت روسيا القيصرية تهاجم المناطق الإسلامية حتى سقطت قازان في منطقة الفولغا، وبعدها دولة خانات ستراخان ثم مملكة سيبير المسلمة في سيبيريا. ثم اتجهت الجيوش الروسية إلى الجنوب إلى تركستان في القرن التاسع عشر. وتساقطت الخانات فيما وراء النهر الواحدة تلو الأخرى، حتى زحف ثمانية آلاف من جيوش الروس نحو سمرقند وعبروا نهر زارافشان في ١٣ أيار (مايو) عام ١٨٦٨ وسيطروا عليها في اليوم التالي.

وبالرغم من جميع التحولات السياسية والعسكرية في سمرقند، فإن معالمها وملامحها وسكانها وحياتها الاجتماعية لا تزال تزخر بالإسلام وبالحياة الإسلامية. ومن المرجح أنه بعد التحولات السياسية التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفيتي وبالتالي الشيوعية إلى تحرر المسلمين من الضغوطات التي سبق أن عانوا منها في مختلف المناطق (السوفياتية) الروسية.

قازان


موسكو
ماري
ادمورت
نهر الفولغا
قازان
موردوف
أوفا
أورنبورغ
نهر أورال
نهر الفولغا
كازكستان

قازان



قازان عاصمة جمهورية تتاريا السوفيتية، وهي جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهوريات الاتحاد السوفيتي (السابق). قامت عام ١٩٢٠. مساحة هذه الجمهورية ما يقارب (٦٨) ألف كلم مربع، وعدد سكانها حوالى ٤ ملايين نسمة. ويتجاوز عدد سكان العاصمة قازان مليون نسمة. وهي تقع في قارة أوروبا في الجانب الشرقي من جمهورية روسيا الاتحادية، يمر فيها نهر الفولغا ويلتقي بنهر كاما، كما يمر بموسكو أيضاً. ومدينة قازان تقع أيضاً على الجانب الأيسر من نهر الفولغا.

أما حدود جمهورية تتاريا فيحدها من الشرق جمهورية باشكيرية وتحدها من الغرب والشمال جمهوريات صغيرة ذات حكم ذاتي مثل: جوفاش، موردوف، ماري، ادمورت، وفي الجنوب تقع جبال الأورال وجمهورية كازاخستان الاتحادية وجمهورية شكالوف ذات الحكم الذاتي.

وكان معظم سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام، ومن بينها جمهورية تتاريا. وأهالي قازان ومناطق تتاريا هم في الأصل من التتر المغول الذين سيطروا على أجزاء من آسيا وأوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد جاء هؤلاء التتر من شرق آسيا ووسطها أو من

وسط سيبيريا كما ترى بعض المصادر التاريخية. وبعد أن انحسرت سيطرتهم عن الشرق، ظل التتر يسيطرون على جميع مناطق روسيا وسيبيريا تقريباً. وظلت امبراطوريتهم حتى أواخر القرن الخامس عشر، حين تمزقت وانقسمت إلى خانات وإمارات مستقلة حيث سقطت في أيدي الأتراك العثمانيين والقيصر الروسي إيفان الرابع. وأصبحت تتاريا عام ١٥٥٢ جزءاً من الامبراطورية الروسية.

وكان التتر المغول في الأصل من الوثنيين، وقد أسقطوا دولة الخلافة العباسية في بغداد عام ١٢٥٨ م. وكانت بداية تحولهم من الوثنية إلى الإسلام عندما تولى بركة خان ابن جوجي ابن جنكيزخان حكم قبيلته المعروفة بالقبيلة الذهبية وذلك عام ١٢٥٦. وكان بركة خان قد دخل الإسلام منذ طفولته. واستمر حكم بركة خان إلى عام ١٢٦٧ م، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام.

وكان سلطان الإسلام في عهد هذه القبيلة يمتد من تركستان حتى روسيا وسيبيريا بما فيه موسكو. ولم يكن أمير موسكو يُنصب إلا بعد موافقة المسلمين. وقد أقام التتر المسلمون مدينة قازان في شمال نهر الفولغا والتي أصبحت فيما بعد العاصمة والمدينة الرئيسية. واختلط سكان قازان المغول ببلغار الفولغا المسلمين اختلاطاً شديداً، وأصبح سكان هذه المناطق يعرفون جميعاً باسم «التتار». ثم نتيجة للخلافات والانقسامات الحادة بين المغول انقسمت امبراطوريتهم في مجرى نهر الفولغا وحوله إلى عدة دويلات وإمارات وخانات وذلك منذ عام ١٤٣٨ م. وهكذا بدأت تضعف وتتهادى الامبراطورية المغولية وتسقط الخانات الواحدة تلو الأخرى في أيدي الروس في تلك المناطق.

وترجح بعض المصادر إلى أن الإسلام انتشر على ضفاف نهر الفولغا منذ زمن طويل، أي قبل بعثة الخليفة المقتدر العباسي إلى ملك البلغار التي ترأسها ابن فضلان عام ٩٢١ م إلى مدينة بلغار عاصمة الدولة آنذاك التي ما زالت شواهدها قائمة على بعد بضعة كيلومترات من مدينة قازان. وكان ملك البلغار طلب من الخليفة العباسي إرسال بعثة إليه تفقهه في الدين الإسلامي وتعرفه على شرائع الإسلام وتبني له مسجداً وتنصب له منبراً يقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته.

هذا وقد قامت مدينة قازان بدور بارز في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في المناطق المتاخمة، وتنامى دورها عبر التاريخ الإسلامي والقيصري على السواء. وتلفت نظر الزائر لمدينة قازان المباني العريقة والقصور الشامخة والأبراج المرتفعة وبعض الآثار الإسلامية. كما تتميز قازان بوجود أحد المباني العريقة المعروف باسم «كرملين قازان» وهو يشبه إلى حد كبير مباني الكرملين في موسكو. وهذه المباني من عهد القيصر ايفان الذي جعل من قازان بوابة له نحو الشرق. وأضاف بقية القياصرة الذين جاؤوا من بعده بعض المباني القازانية، وهي المباني التي تعتبر المقر الرسمي للحكومة.

وفي قازان جامعة عريقة تعرف باسم جامعة قازان أو جامعة «أوليانوف» وهي إحدى أعرق الجامعات في العالم. وقد تم افتتاحها عام ١٨٠٤، وتعلم فيها مئات الألوف وتخرج منها عشرات الآلاف منهم عدد من الشخصيات الشهيرة مثل: لينين، تولستوي، وعالم النفس المشهور بافلوف، وبوتليروف اختصاصي الكيمياء،

وفشينفسكي اختصاصي الجراحة، وفانيلوف وسواهم الكثير. وكان والد لينين مفتش المدارس أوليانوف يقطن في قازان مع عائلته وأولاده، الأمر الذي دعا لينين للالتحاق بجامعة قازان عام ١٨٨٨م. ولهذا ترى في قازان تمثالاً قائماً للينين(*). وقد تخرج من هذه الجامعة في الفترة الممتدة بين ١٩٨١ ـ ١٩٨٦ حوالى عشرة آلاف طالب وطالبة من أربعين قومية منهم بعض الطلبة العرب من سوريا واليمن وليبيا وبعض الأقطار العربية والإسلامية الأخرى.

وفي جامعة قازان فرع لأكاديمية العلوم السوفياتية، وأنشيء فيها أول فرع للاستشراق في الاتحاد السوفيتي ثم انتقل إلى لينينغراد. وجامعة قازان تعتبر الجامعة الثالثة من حيث الأهمية في الاتحاد السوڤيتي السابق بعد جامعتي موسكو ولينيغراد.

وفي قازان مجمع لصناعة الطائرات والقاطرات والآلات الزراعية والمطاط الصناعي والمنسوجات والمفرقعات. وتعتبر الحياة الاقتصادية الصناعية والزراعية متطورة إلى حد بعيد. فنظراً لوجود المياه الوفيرة تنتشر الزراعة فيها وفي بقية أرجاء تتاريا، وتزرع فيها كثير من أنواع الحبوب كالقمح والشعير والذرة والفواكه والخضراوات والبطاطا. كما تنتج البلاد الحليب واللحوم نتيجة تربية الأبقار.

ومما يساعد على تطور الاقتصاد في قازان خاصة وتتاريا عموماً وجود كميات كبيرة من النفط الذي يزيد على (٥٠) مليون طن

(*) دمر تمثال لينين في قازان عام ١٩٩١ في إطار تدمير تماثيله في المدن والجمهوريات السوڤياتية لا سيما بعد حركة الانقلاب الفاشلة ضد غورباتشوف في آب (أغسطس) ١٩٩١.

سنوياً. كما تعمل الجمهورية على توسيع إنتاج المعادن، وإنشاء مشروعات صناعية كبرى مثل مصنع المعدات الطبية الذي ينتج أربعة آلاف نوع من المعدات الطبية وأجهزة المختبرات ومصنع أدوات جراحة الأسنان وهذا المصنع ينتج ٨٠٪ من احتياجات الاتحاد السوفيتي السابق من أدوات جراحة الأسنان.

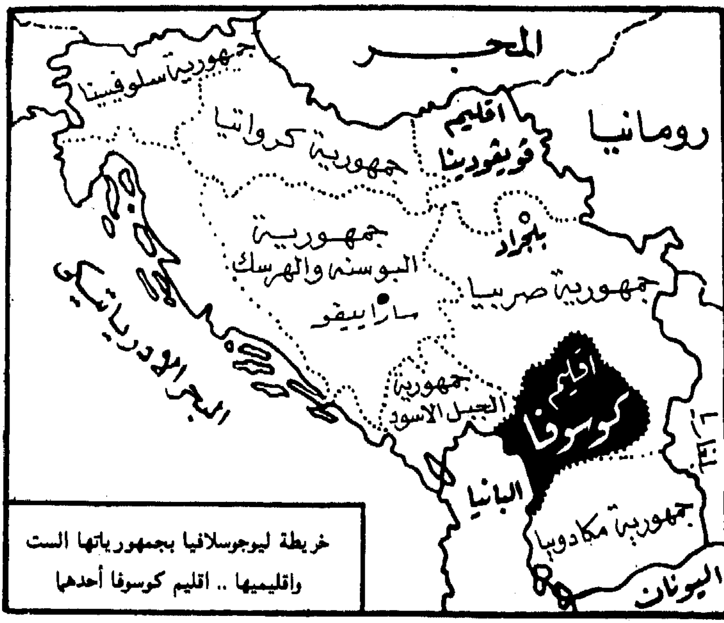
ومن معالم قازان بالإضافة إلى مبانيها الأثرية وجامعتها العريقة ونهرها الجذاب هناك مسجدها الجامع التاريخي، حيث خصص له المؤذن والإمام وقد تولى فترة هذه المهمة الشيخه كامل بن إمام الدين الذي يؤم المصلين المسلمين في قازان أو المسلمين القاطنين فيها والقادمين من مناطق إسلامية أخرى مثل أذربيجان وسواها. ويوجد في قازان تمثال للشاعر الإسلامي عبد الله توقاي صاحب القصة الشهيرة: «شيرالاي» التي ترجمت إلى العربية وهي قصة للأطفال كما يوجد في قازان «متحف توقاي» وهو كان في الأصل منزل الضابط محمد شامل الداغستاني القوقازي ابن الشيخ شامل الثائر ضد القياصرة. وتكريماً لتوقاي فقد أقيم متحف آخر له في قرية «قرلاي». وفي قازان تمثال آخر لموسى جليل الذي قاوم الألمان في تتاريا عام ١٩٤٢. وموسى جليل مناضل وأديب وشاعر له ديوان شعري مكتوب باللغة التتارية ذات الحروف العربية، مترجم إلى عدة لغات منها الانجليزية كما يوجد في قازان قصر الثقافة. ومن ملامح قازان الصناعية ترسانة السفن الخاصة بصناعة السفن وإصلاحها على نهر قازانكا أحد فروع نهر الفولغا.

إن مدينة قازان التي أنشئت منذ عام ١٤٠١ م، وبالرغم من تطورات عديدة مرت على سكانها وعلى ملامحها، غير أنها لا تزال

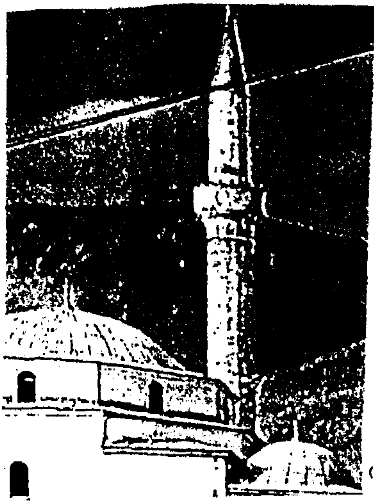
تحتفظ بالسمات الإسلامية البارزة في معتقدات أهلها وفي عاداتهم وتقاليدهم وفي مساجدهم وعمائم شيوخهم وأئمتهم وفي مخطوطاتهم الإسلامية التي يحافظون عليها كتراث إسلامي أصيل، وفي لغتهم التترية المتأثرة كثيراً باللغة العربية والتي كتبت بحروف عربية لفترات طويلة ثم تحولت إلى اللاتينية والروسية. علماً أن جامعة قازان لا تزال تدرس باللغة العربية في بعض الأقسام المتخصصة. كما أن رئيس جمهورية تتاريا «شامل مطاييف» هو من الطائفة الإسلامية. هذا وقد طالبت في تشرين الثاني (نوفمر) ١٩٩١ باستقلالها عن الاتحاد الروسي الجديد وفقاً لإحصاء جرى بين سكانها انتخب على أثره أحد مشايخها المعممين رئيساً للجمهورية.

قازان مدينة إسلامية تحمل تراث الماضي، تحمل الوفاء لتاريخها ولجذورها ولماضيها.

كوسوفا



خريطة ليوجوسلافيا بجمهورياتها الست واقليميها .. اقليم كوسوفا أحدهما



كوسوفا

كوسوفا أو كوزوفو ليست مدينة بقدر ما هي اقليم. كانت تتبع البانيا، وكوسوفا حالياً تتبع يوغوسلافيا التي تتألف من ست جمهوريات واقليمين: اقليم ڤويڤودينا واقليم كوسوفا (كوزوفو)(*)

يحد اقليم كوسوفا من جهاته الأربع: جمهورية صربيا وجمهورية الجبل الأسود وألبانيا وجمهورية مكادويا.

عاصمة الأقليم «بريشتنا»، وسكانه حوالى مليونين نسمة. ومساحته حوالى (١١) ألف كيلومتر مربع، توزعت عليها (١٣٤٨) مدينة وقرية منها: بريشتنا أو بريستيفار العاصمة الاقليمية، بريليب، بيك، بوديجوفو... وسكان كوسوفا من الألبان المسلمين ويمثلون ٩٥٪ من الاقليم، فيما يمثل سواهم من الصرب ٥٪. مناخ اقليم كوسوفا معتدل صيفاً بارد شتاءً، يعلو جبالها الثلوج التي تشكل حاجزاً فاصلاً بين كوسوفا وألبانيا.

في النصف الثاني من القرن الرابع عشر تقدمت القوات العثمانية بقيادة السلطان مراد للسيطرة على البلقان التي لم يكن

(*) شهدت يوغوسلافيا منذ عام ١٩٨٩ ولا تزال تشهد حروباً أهلية بين أقاليمها بهدف الانفصال أو الاستقلال.

ممكناً السيطرة على تلك المنطقة ما لم يتم السيطرة على كوسوفا. وبالفعل فقد توجه السلطان مراد نحو كوسوفا في عام ١٣٨٩، وفي معركة «كوسوفسكو بوليج» واجه فيها الصرب والبلغار والألبان انتصر السلطان مراد على الأمير اليعازر. ولكن العثمانيين لم يستقروا في المنطقة بشكل ثابت إلا خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وخضعت بذلك منطقة البلقان للعثمانيين الذين قسموا المنطقة إلى إيالات عثمانية وعينوا على كل منها والٍ عثماني. وظلت ألبانيا ركيزة أساسية للحكم العثماني، وخزاناً هاماً ورئيسياً للإدارة العسكرية العثمانية وللفرق المحاربة. ويكفي الإشارة إلى أن محمد علي باشا الذي تولى وأسرته من بعده حكم مصر بين ١٨٠٥ ـ ١٩٥٢، وأحمد باشا الجزار والعديد من ولاة الدولة العثمانية كانوا من الألبان المسلمين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن دخول الإسلام إلى كوسوفا خاصة وألبانيا عامة، لم يرتبط بالفتح العثماني، ولكن دخول العثمانيين ساعد كثيراً على تعزيز الإسلام، بل وعلى السرعة في «أَسلمة» البلقان. وكان الإسلام قد بدأ ينتشر في المنطقة نتيجة قيام التجارة بين الشرق والغرب، ونتيجة قيام التجار المسلمين برحلات تجارية إلى بلاد البلقان. ومن الأدلة على انتشار الإسلام قبل الفتح العثماني وجود ضريح لأحد الأولياء المسلمين في كوسوفا اسمه «ساري سلطاكو» ومن العشائر الإسلامية القديمة فيها عشيرة حولاج.

وتاريخ الإسلام والمسلمين في كوسوفا وفي ألبانيا عامة مليء بالأحداث الجسام. فبعد أن كان العنصر الألباني المسلم سيداً حراً في بلاده في ظل الدولة العثمانية، فإذا بوضعه بدأ يتغير مع انحسار

نفوذ العثمانيين عن المنطقة. فبعد المد القومي في القرن التاسع عشر، وبعد استقلال اليونان والصرب والبلغار عن الدولة العثمانية، أعلنت ألبانيا استقلالها عام ١٩١٢، ولكن هذا الاستقلال لم ينقذ ألبانيا، بل جعلها لقمة صائغة للطامعين، فاحتلت مملكة صربيا اقليم كوسوفا، واقتطعت أجزاء من ألبانيا لتضم إلى اليونان ومكدونيا والجبل الأسود، وأطلقت يد ايطاليا في ألبانيا. والأمر الملاحظ أن عصبة الأمم المتحدة ومن ثم هيئة الأمم المتحدة أقرّت لصربيا سيطرتها على كوسوفا. وعندما تحولت صربيا إلى يوغوسلافيا كان الاقليم قد تكرس تبعيته لليوغسلاف.

والجدير بالذكر إن تاريخ البلقان سجل مذابح دموية شهدتها ألبانيا بعد عام ١٩١٢ راح ضحيتها ألوف المسلمين وألوف المسيحيين الأرثوذكس، الذين لم يغفر لهم الكاثوليك انتماءهم إلى الكنيسة الشرقية.

وكان من نتائج اضطهاد المسلمين في كوسوفا وألبانيا، هجرتهم إلى استانبول ودمشق والقاهرة وبيروت وبعض البلاد العربية والإسلامية، حيث التحقوا ببني جنسهم ممن تركوا ألبانيا في قرون وسنوات سابقة.

أما المسلمون الذين بقوا في كوسوفا، فقد عانوا الكثير من الاضطهاد والتمييز العنصري والديني في مختلف المجالات الاقتصادية والتربوية والسياسية والانمائية، حتى أن لغتهم الألبانية منعوا من استخدامها أو التعامل بها. ونتيجة لهذا الاضطهاد فكر أبناء كوسوفا عام ١٩٣٧ بالهجرة نهائياً إلى تركيا، غير أن قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ جمّد الموضوع. وبالرغم من

انتقال يوغوسلافيا من الملكية إلى الجمهورية، ومن النظام الاقطاعي والرأسمالي إلى النظام الاشتراكي والشيوعي، غير أن ذلك لم يغير من نظرة يوغوسلافيا إلى مسلمي كوسوفا والبانيا. وظلت السياسة اليوغوسلافية تسعى إلى تهجير المسلمين إلى الخارج. وبالفعل فقد شهدت الخمسينات حملة تهجير المسلمين إلى تركيا. ونتيجة لهذا الواقع المؤلم المستمر منذ عام ١٩١٢ ساد كوسوفا حالة من التخلف والجهل. وظل المسلمون يعانون من سوء المعاملة في المراحل المختلفة في ظل الأنظمة والحكم السائد.

وبالرغم من جميع مظاهر القسوة والاضطهاد التي عانى منها المسلمون في كوسوفا، فقد استمروا في ولائهم للإسلام رغم محاولات قطع صلتهم بالإسلام والمسلمين. ففي كوسوفا مقر للمشيخة الإسلامية مسؤولة عن إدارة النشاط الإسلامي وإدارة المساجد وتنظيم وضع الأئمة. والمشيخة الإسلامية في كوسوفا هي واحدة من أربع مشيخات تتحمل المسؤولية الدينية عن مسلمي يوغوسلافيا.

وفي العاصمة بريشتنا تتمركز المشيخة في سوق يحمل اسماً عثمانياً هو سوق البازار. وبقربها المسجد الجامع الذي يحمل اسم السلطان العثماني محمد الفاتح.

وبعد أن سمح القانون اليوغوسلافي عام ١٩٧٤ بأن يعلن المسلم عن إسلامه ويسجل ذلك في الأوراق الرسمية، بات المسلمون أكثر حرية وانطلاقاً في ممارسة شعائرهم وفي دفع الزكاة في مساجدهم. وبواسطة أموال الزكاة يبنون مدارسهم ومساجدهم ومؤسساتهم الدينية. وساعد كل ذلك على استمرار التعلق باللغة

العربية لغة القرآن الكريم إلى جانب اللغتين الألبانية والصربية. ويوجد في أنحاء يوغوسلافيا (٢٧٠٠) مسجد، بينها (٦٧٠) مسجداً في دائرة اختصاص مشيخة بريشتنا، كما أنه من بين (١٩٥٠) إماماً في يوغوسلافيا، يتبع مشيخة بريشتنا (٥٠٠) إمام. وفي كوسوفا تقليد إسلامي عريق هو العمل الوقفي، لذا يزخر الاقليم بالأوقاف الإسلامية التي يشرف عليها جهاز خاص، تتبعه في أنحاء كوسوفا (٣٠) دائرة تجمع حصيلة العقارات والأملاك الوقفية، لضمها إلى ميزانية صيانة المساجد وترميمها.

والمسلمون في كوسوفا يتحملون عبء العمل الإسلامي، سواء بالنسبة لمصروفات المشيخات أو المساجد أو المدارس الإسلامية أو رواتب الأئمة. ومن المساجد الهامة في العاصمة مسجد السلطان مراد حيث تقام فيه الصلوات وصلوات الجمع والأعياد وتجمع أموال الزكاة. كما يتحملون هجوم خطر الصرب على حاضرهم ومستقبلهم رغم أن الصرب لا يشكلون سوى مئتي ألف نسمة؛ لذا فإن شعارهم الدائم ضرورة الحفاظ على وحدة الصف الألباني لمواجهة أخطار الصرب.

وفي كوسوفا حتى اليوم بعض الطرق الصوفية الإسلامية. فبالرغم من انتشار المذهب الحنفي في البلاد منذ أن اعتمده العثمانيون في دولتهم، فإن الطرق الصوفية لا تزال موجودة ومنها: القادرية، الرفاعية، الخلوتية، السعدية، النقشبندية، البكتاشية. ويرى الناظر في مساجد كوسوفا الأئمة يعلمون الأطفال الدين الإسلامي، ويدرسونهم القرآن الكريم، وذلك للحفاظ على الإسلام في تلك الديار.

ولا تزال عادات أهل كوسوفا عادات إسلامية، فهم يحتفلون

بعيدي الفطر السعيد والأضحى المبارك، ويصومون شهر رمضان، ويحتفلون بقدومه. ويحتفلون ببقية المناسبات الإسلامية. وهم شعب مضياف يستقبلون الضيوف استقبالاً إسلامياً حاراً ويعملون على تكريمه. ويلبسون الأزياء الشعبية المماثلة لألبسة المسلمين في المشرق، ويخلعون الأحذية قبل دخولهم المنزل حرصاً على طهارته. كما يزورون القبور في فترة الأعياد، ويتزاورون فيما بينهم للتهنئة ويستعملون العبارة الالبانية ـ التركية «برهير بيرمي» أي «عيد سعيد». كما يستخدمون عند التحية عبارة «تونكاجا تجيتا» أي «حفظ الله حياتكم». كما تماثل احتفالات الزفاف الاحتفالات الإسلامية، ويحرصون على أن يعقد الإمام عقد الزواج، ويقوم علماء الدين عادة بغسل الموتى ودفنهم على الطريقة الإسلامية وتلاوة القرآن الكريم على روح المتوفى. وبيوتهم من الخارج أو من الداخل أشبه ما تكون بالبيوت التركية أو الإسلامية المشرقية، حتى إنهم لا يزالون يحرصون على تسمية أبنائهم بأسماء إسلامية وعربية وتركية مثل: محمد، أحمد، محمود، شوكت، طلعت، مدحت، فاطمة، عائشة، أمينة...

وبالرغم من أن النظام اليوغوسلافي يمنع تعدد الزوجات، غير أن المسلمين لا يلتزمون بذلك، بل باستطاعتهم التزوج بأكثر من واحدة تبعاً للدين الإسلامي. ويتصف سكان كوسوفا بالحفاظ على الرابطة العائلية والاجتماعية بعكس سكان المقاطعات اليوغوسلافية الأخرى التي تشهد تفكك أسري واجتماعي وهم على وجه الإجمال يفاخرون بالتقاليد الإسلامية والتركية والالبانية المتوارثة.

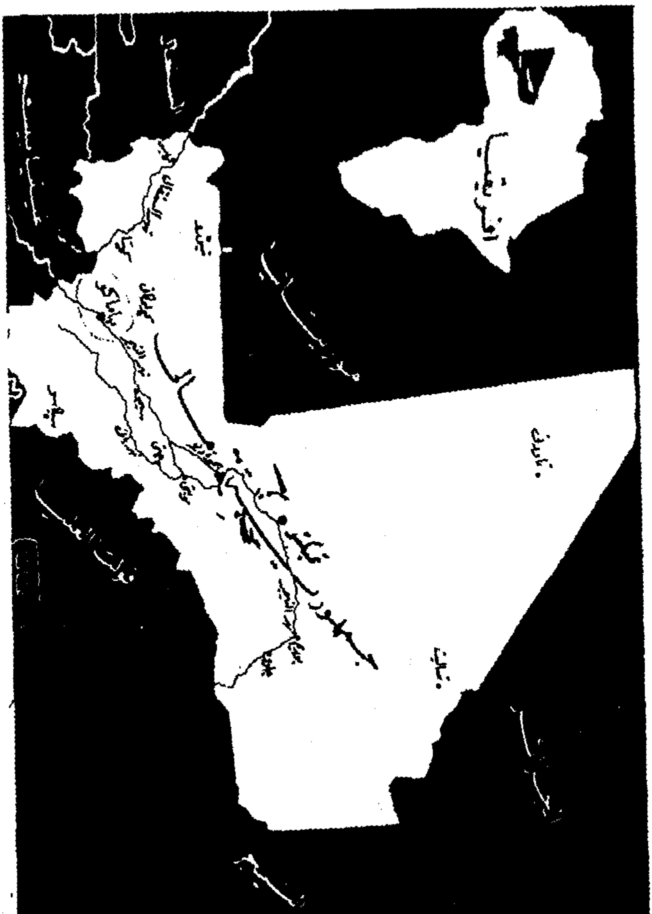
أما فيما يختص بالتعليم في كوسوفا فقد أصبح في السنوات الأخيرة متطوراً ومنطلقاً، سواء مرحلة التعليم قبل الجامعي أو التعليم الجامعي.

أما الوضع الاقتصادي في الاقليم، فإن الله وهبه مواد أولية عديدة ساهمت على تطور المنطقة، رغم أن هذه المواد الخام كانت تنقل في السابق إلى خارج الاقليم. فمن بين المواد الموجودة في الاقليم الفضة. وفي مدينة «بيا» أشهر معمل للفضيات في الاقليم. وفيه أيضاً أكبر مصادر الرصاص والزنك والنيكل في أوروبا كلها، فضلاً عن الفحم الذي يشكل ٥٥٪ من احتياطي يوغوسلافيا.

وفي الاقليم بعض الصناعات الثقيلة ومصنع ضخم للنسيج يضم ما يقارب ثلاثة آلاف عامل وعاملة أقيم في كوسوفا في منطقة «حقل الشحرور» وهو الموقع الذي انتصر فيه الأتراك على الصرب عام ١٣٨٩. وفي مدن تربشا وجاكوفا وليبيليان مناجم للزنك والكروم والمغنيسيوم ومختلف الصناعات. كما يشتهر الاقليم بزراعات القمح والذرة والشعير والفواكه والمراعي والثروة الحيوانية، علماً أن اقتصاد كوسوفا يقوم بنسبة ٨٥٪ على الصناعة، غير أن بعض مناطق كوسوفا الزراعية لا تزال تعتمد على الآلات والأساليب الزراعية التقليدية.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن المسلمين في كوسوفا، رغم الصعاب والمآسي التي واجهتهم لا يزالون يتميزون بالحس الألباني الذي مثّل خلال قرون عديدة قاعدة للإسلام والمسلمين في أوروبا وفي المشرق العربي أيضاً الذي شهد موجات عديدة من الألبان الذين استقروا في مصر وبلاد الشام وحملوا لقب الأرناؤوط أو البوشناق حيث لا تزال عائلات عتيدة تحمل هذا الاسم إلى الآن في المشرق والمغرب العربيين. وكان للعنصر الألباني دور أساسي في «أسلمة» الكثير من المناطق التي سيطرت عليها الدولة العثمانية.

باماكو





باماكو

باماكو عاصمة جمهورية مالي، وهي من أكبر جمهوريات غرب أفريقيا الناطقة باللغة الفرنسية اتساعاً، إذ تبلغ مساحتها ٤٦٤,٧٢٥ ألف ميل مربع. ليس لها منفذ بحري، غير أن العاصمة باماكو تقع على نهر النيجر. ولها حدود مشتركة مع سبع دول أفريقية يحدها من الشمال الجزائر ومن الجنوب غينيا ومن الشرق موريتانيا والسنغال ومن الغرب النيجر ومن الغرب الجنوبي ڤولتا العليا (أي بركينوفاسو حالياً) وساحل العاج. ويقدر عدد سكانها بنحو ثمانية ملايين ونصف مليون نسمة، ويدين ٩٥٪ من السكان بالدين الإسلامي. وتستأثر باماكو بعدد كبير من سكان مالي يزيد على مليون نسمة وقد استقلت البلاد عن فرنسا عام ١٩٦١.

انتشر الإسلام في باماكو وبقية مدن مالي في فترة مبكرة على غرار أكثر المناطق الافريقية. ففي غرب أفريقيا وفي مالي خاصة يعود انتشار الإسلام إلى حركة المرابطين، وإلى جهود التجار والدعاة المسلمين القادمين من وادي النيل ومن المغرب العربي.

والحقيقة فإن المرابطين لم يقوموا بنشر الدعوة الإسلامية وتوسيع رقعتها خلال القرن الحادي عشر الميلادي فحسب، ولكن

نشاطهم شمل تنقية العقيدة الإسلامية من بعض الشوائب التي علقت بها بفعل التأثيرات والعادات والتقاليد المحلية. ومما ساعد على انتشار الإسلام اعتناق رؤساء القبائل للدين الإسلامي الأمر الذي شجع بقية السكان على الاقتداء برؤسائهم.

ومن الأهمية بمكان القول بأن المرابطين جهدوا على «أسلمة» زعماء قبائل «التكرور» و«الماندنجو» الزنجية. وأرسلوا العلماء إليهم لتثقيفهم وتعليمهم مبادىء الإسلام وتعاليمه. وهم الذين نشطوا العلاقات التجارية والثقافية بين وسط القارة الأفريقية وغربها وبين العالم الإسلامي، لا سيما شمال أفريقيا والدول الإسلامية التي كانت قائمة في تلك الفترة في اسبانيا. ولقد بدأ دخول الإسلام في «باماكو» باعتناق زعماء امبراطورية مالي لهذا الدين الحنيف. ولقد كانت امبراطورية مالي تضم في عصر ازدهارها: مالي وموريتانيا والسنغال وغينيا وشمال ساحل العاج وجزءاً من ڤولتا لعليا أي بركينوفاسو حالياً والنيجر.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن قبيلة «الماندنجو» الزنجية أصبحت بعد اعتناقها للإسلام من أشد القبائل تعصباً وعملاً من أجل الإسلام ونشره في مالي بين الوثنيين. وحرصت على بناء المساجد في كل المناطق التي امتد نفوذها إليها. وقد صاحب انتشار الإسلام في «باماكو» ومالي انتشار لبعض الطرق الصوفية لا سيما الطريقة القادرية والطريقة التيجانية.

ينتشر في «باماكو» الكثير من المساجد والجوامع والمدارس الخاصة والرسمية والمعاهد الدينية. ومن أهم مساجدها «المسجد الكبير» في باماكو. وللهيئات الدينية في باماكو علاقات طيبة مع

الهيئات والمنظمات الإسلامية في العالمين العربي والإسلامي مثل رابطة العالم الإسلامي في مكة، وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، ومع الجمعيات الإسلامية العاملة في الكويت والمملكة العربيه السعودية ومصر.

ونظراً لأن دولة مالي دولة مكونة في جذورها وأصولها من قبائل، فإن هذه التركيبة البشرية والقبلية تتمثل في أصول ثلاثة كبيرة هي الأصول: الزنجية والبربرية والعربية، يجمع بينها الإسلام وجعلها إلى حد كبير في بوتقة إسلامية واحدة. أما أشهر القبائل الموجودة في العاصمة «باماكو» وبقية المدن المالية فهي: قبيلة «البمبارا» ويعيش أفرادها في وسط البلاد وغربها وجنوبها، ويعملون في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الفولانيون» وهم منتشرون في «باماكو» ومختلف أنحاء البلاد ويعملون أيضاً في الزراعة وتربية الأغنام. وقبيلة «الصنفاي» وينتشرون في الشمال والشرق. وفي الشمال ينتشر مع الصنفاي قبيلة الطوارق الجزائرية الأصل. وهاتان القبيلتان تعملان بالتجارة والزراعة.

وتنتشر قبيلة «المركا» في الغرب ويعمل أفرادها في الزراعة. بينما تنتشر قبيلة «البوز» في المناطق الوسطى والشرقية، ويعملون في صيد الأسماك من نهر النيجر. أما قبيلة «بوبو» فتتركز في الجنوب وهي قبيلة وثنية على وجه الإجمال. أما القبائل العربية فتنتشر في شمال البلاد ويعمل أفرادها في التجارة وتربية الأغنام. في حين أن قبيلة «المانينكا» تنتشر في غرب البلاد ويعمل أفرادها في الزراعة.

وجميع هذه القبائل تدين بالإسلام وتعمل لـه، باستثنـاء قبيلة «البوز» و«المانينكا» اللتان تضمان أقليات وثنية، بينما قبيلة «بـوبو» ذات أغلبية وثنية.

أدى تعـدد القبائـل في مالي حكـماً إلى تعدد اللغـات فيهـا. فقبيلة «البمبـارا» مثلاً هي أكبـر قبائـل مـالي، وتمثـل أكثـر من ٤١٪ من مجموع السكان. فلا غرابة إذاً إن تحدث بلغتهـا حوالى ٦٠٪ من السكان، ولا غرابة إذا كانت هي اللغة السائدة في شوارع «باماكو» فهي لغة العامة والعمال والتجار. ويوجد عدد من اللغات المحلية الأخـرى تتعامـل بها القبـائل مثـل اللغـة: الفـولانيـة والسـوننكي وسوارامي، وتماشيقـو، والبوجـو، والسنفو. وعلى وجـه الإجمـال فيوجد في مـالي ما يقـارب إحدى عشـرة لغة وضعت لهـا حروف وقواعد وكتبت حروفها بالحروف اللاتينية والحروف العربيـة. فلغة «السوننكا» مثلاً وهي لغة محلية كتبت بالحروف العربية، كما كتبت بالحروف العربية لغـة قبائـل «الفولانيـة». وتساعـد منظمـة الدول الإسلامية في المغرب المنظمات الإسلامية في باماكو ومـالي على كتابة لغة القبائل بالحروف العربية. ويبقى القول إن اللغة الرسمية في البلاد لا تزال هي اللغة الفرنسية بأثر من الاستعمار الفـرنسي، وهي لغة الإدارة والتعامل الرسمي وفي وزارات الدولة وإداراتهـا، كما أنها تمثل نسبة عالية من لغة التخاطب لا سيمـا في العاصمـة «باماكو». ويبدو انتشار الفرنسيـة واضحاً في المـدارس والمعاهـد والمؤسسات التربوية عامة.

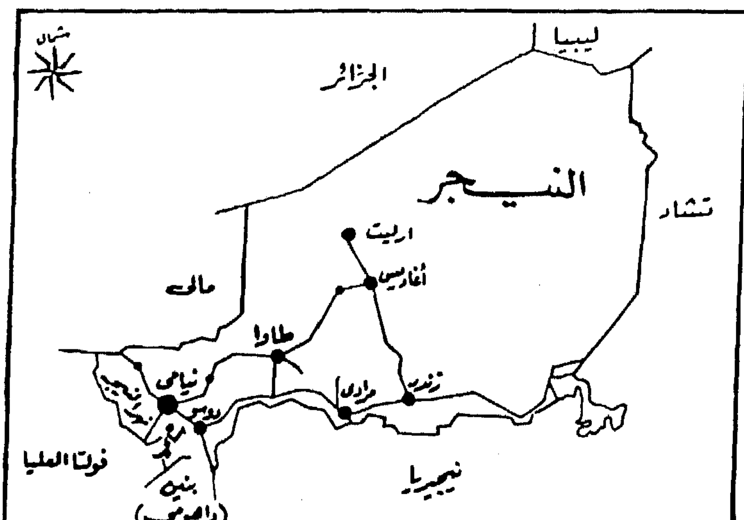
من الناحية الاقتصادية فإن «باماكو» العاصمة وبعض المنـاطق الأخرى، تتميز بالإنتاج الزراعي لا سيما في دلتا نهر النيجـر وهي

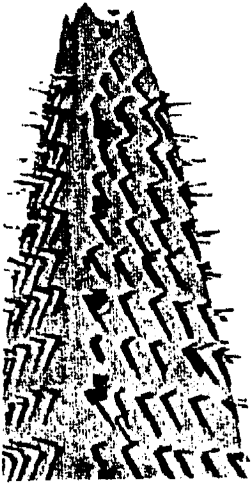
من أخصب الأراضي الزراعية في مالي، حيث تنتشر زراعة القطن والأرز والذرة والفول السوداني. ويعمل في الزراعة أكثر من ٩٠٪ من السكان. وتنتج مالي سنوياً حوالى ١٥٠ ـ ١٨٠ ألف طن من الفول السوداني، كما تنتج المانجو والموز والليمون والخضراوات. كما أن الثروة الحيوانية تأتي في المرتبة الثانية بعد الزراعة حيث تساهم في الدخل القومي بما نسبته ١٧٪. وتتمثل هذه الثروة بالماعز والأغنام والأبقار والجمال. وتقدر أعداد الماشية التي تصدرها مالي إلى الخارج بنحو مليون رأس من البقر والأغنام.

هذا ويعمل بعض أهل مالي لا سيما سكان «باماكو» في قطاع الخدمات، وقطاع الصناعة حيث انتشرت بعض مصانع الأقمشة ومصنع للأدوية. ومصانع الزيوت والصابون والألبان والجلود والأدوات الزراعية.

وبشكل عام فإن «باماكو» العاصمة ومالي الدولة تعتبر من المناطق النامية الساعية للتقدم والنمو رغم الصعاب المناخية والاقتصادية التي لا تزال تعاني منها علماً أن بعض الدول العربية والإسلامية وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت. لا تزال تقدم لها الدعم في مختلف المجالات للأخذ بيدها أكثر نحو العروبة والإسلام.

نيامي


ليبيا
الجزائر
النيجر
تشاد
مالى
ارليت
أغاديس
طاوا
نيامى
زندر
مرادى
فولتا العليا
نيجيريا
بنين
(داهومى)



نيامي

نيامي عاصمة النيجر، وهي دولة افريقية محاطة بسبع دول هي: ليبيا، الجزائر، تشاد، مالي، نيجيريا، ڤولتا العليا وبنين (أي داهومي). وأطول الحدود هي مع نيجيريا حيث تبلغ ١٢٠٠ كلم، ثم مع الجزائر حيث تبلغ ألف كيلومتر.

وتبلغ مساحة البلاد (١٢٦) مليون و٧٠٠ ألف هكتار، يزرع منها فعلاً (٣) مليون و١٥٠ ألف هكتار. أما الأراضي القابلة للزراعة فهي (١٥) مليون هكتار. بينما تغطي الغابات (١٤) مليون هكتار. في حين تنتشر المراعي على مساحة (٥٦) مليون هكتار.

من المدن الأخرى إلى جانب العاصمة نيامي، يوجد في النيجر مدن إسلامية أخرى مثل: أرليت، أغاديس، طاوا، زندر، مرادى، دوسو.

نالت النيجر استقلالها عام ١٩٦٠. وهي تتمتع بأغلبية إسلامية ساحقة تصل إلى ٩٨٪ من السكان البالغ عددهم أكثر من خمسة ملايين ونصف مليون نسمة. أما ٢٪ من السكان فهم من الوثنيين أو من الوثنيين الذين تنصروا نتيجة البعثات التبشيرية الفرنسية التي

وصلت إلى البلاد في بداية القرن العشرين. غير أن هؤلاء بدورهم يقبلون في هذه الأيام على اعتناق الإسلام، حيث أن الجمعية الإسلامية أنشأت مسجداً لهم في عام ١٩٨١ لا سيما للوثنيين الداخلين في الإسلام في مدينة جورمنكه.

وكان الإسلام قد دخل إلى نيامي ومناطق النيجر مع قوات عقبة بن نافع في القرن الأول الهجري التي وصلت إلى منطقة «جادو» في أقصى الشمال. أما الجزء الجنوبي فقد دخله الإسلام بعد القرن السادس الهجري، في ظل مرحلة انتشار الدين على أيدي المرابطين. وكانت بلدة «ساي» على بعد (٤٠) كيلومتراً عن نيامي، هي أول موقع في الجنوب بلغه المسلمون القادمون من مالي المجاورة وأشهرهم الداعية المسلم الفاهم محمد جوب الذي لا يزال ضريحه مقاماً بالبلدة.

إن مسلمي نيامي كبقية مسلمي النيجر، فهم جميعاً يتبعون المذهب المالكي السائد في شمال افريقيا وغربها. من أجل ذلك لا نرى خلافات عقائدية أو فقهية بين المسلمين في النيجر في المسائل الفقهية.

ونتيجة لانتشار الإسلام في البلاد، فقد أصبح احترام المسلم يقاس بمقدار حفظه للقرآن الكريم. وبالرغم من أن اللغة العربية ليست سائدة في نيامي، غير أن المسلمين يحرصون على تعلم القرآن الكريم، والحرص على الذهاب إلى المسجد في مواقيت الصلاة. وفيما يختص بالصلاة بشكل خاص فإن نيامي وبقية المدن النيجرية تشهد ميزة بارزة وهي أنه إذا حل موعد الصلاة في أية وزارة أو إدارة حكومية أو قطاع خاص، فإن الجميع يبادرون للصلاة فوراً في المصلى.

أما فيما يختص بالحج وزيارة الأماكن المقدسة، فهذه تعتبر أمنية المسلمين في النيجر، حتى أن متوسط عدد حجاج النيجر وصل في الفترة الأخيرة حوالي ستة آلاف في كل عام. كما أن الزائر للعاصمة نيامي يرى لافتات وملصقات في شوارعها وعلى جدرانها وقد كتبت بالفرنسية عبارات: الله ربنا، ومحمد نبينا، والقرآن كتابنا. وهذه العبارات كثيراً ما نقلت عن لسان كبار المسؤولين وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية.

وفي نيامي يبدو التوجه الإسلامي واضحاً في مختلف النشاطات، وهو يعكس التدين العميق الذي قلما يجده المرء في بقية المستعمرات الفرنسية أو الانجليزية السابقة. والجمعية الإسلامية في نيامي، هي المؤسسة الرسمية التي تقوم بإدارة النشاط الإسلامي في البلاد، ولها فروع في كل المحافظات. كما يتميز المسجد الجامع في نيامي بحشود إسلامية ضخمة في مقدمة المصلين رئيس الجمهورية. وفي مكان منفصل في المسجد تقوم النسوة بالصلاة بعيداً عن مكان الرجال.

أما مساجد نيامي والنيجر بشكل عام. فهي مساجد متواضعة بعيدة عن الفخامة، بل هي مساجد فضاء في قسم كبير منها بدون سقف، محاطة بسور قد يكون من الأسلاك. أما الطرق الصوفية فهي لا تزال موجودة في نيامي ومناطق أخرى في النيجر، ولكنها لم تعد تمثل القوة السياسية على الأقل، لأن نظام الحزب الواحد في البلاد قلّص من سلطات القوى المحلية بما فيها سلاطين المدن والأقاليم. أما أهم الطرق الصوفية في البلاد فهي «الطريقة التيجانية» وينتمي إليها أغلب أهل النيجر. وفي نيامي اتباع الطريقة

«الحموية» التابعة للشيخ حماه الله، وهي في جذورها طريقة من الطرق التيجانية.

أما فيما يختص بالحياة الاجتماعية، فلا يزال النظام القبلي سائداً في البلاد، حيث تنتشر خمس قبائل أساسية. والحقيقة فإن موقع النيجر بين افريقيا العربية البربرية وبين افريقيا السودانية الساحلية أدى إلى ظهور مجموعات متميزة من السكان منها: القبائل البدوية الراحلة في الوسط وهؤلاء هم البربر والفلانيون أو السكان البيض لأنهم ليسوا من أصول زنجية سوداء. ثم قبائل زنجية مستوطنة في النصف السفلي من النيجر، وهي تتوزع على ثلاثة فروع أساسية هي قبائل الصنغاي والزرما، وقبائل الهاوسا، ثم قبائل الكانوري. وهنا يبدو فضل الإسلام واضحاً وبارزاً وأساسياً على النيجر، لأنه كان ولا يزال الأداة الوحيدة لتوحيد البلاد.

ويمكن دراسة هذه القبائل على النحو التالي:

١ ـ قبائل البربر: وهم من قبائل الطوارق أبناء الصحراء المبعثرون في شمال النيجر. وهم فرع من البربر الذين يشكلون نسبة غير قليلة في شمال افريقيا. اضطرتهم الظروف المناخية إلى التنقل وهجرة الصحراء والاقتراب من الواحات والمدن، والتوطن حولها.

٢ ـ قبائل الفلانية: وهم الفرع الثاني بعد البربر من الجنس الأبيض، وهم منتشرون في أنحاء النيجر. وأكثرهم من الرعاة الذين يطوفون أنحاء البلاد طوال العام سعياً وراء العشب والماء.

٣ ـ قبائل الصنغاي والزرما: وهذه القبائل تنتمي إلى جنس واحد، لأنها من بقايا امبراطورية صنغي. وهم يقيمون في غرب النيجر، ويعملون في صيد الأسماك وصناعة الزوارق. ويذكر بأن قبيلة الزرما سبق أن نزح أفرادها من كينيا ومصر، ثم أقاموا في منطقة زرما، وتعلموا لغة الصنغاي، واشتغلوا بالزراعة بصفة أساسية، وهم يمثلون الأغلبية في العاصمة نيامي وبوبوي وبوسو.

٤ ـ قبائل الهاوسا: ينتشرون في وسط البلاد، ويرجح أن أصلهم صحراوي. نزحوا إلى الجنوب إلى مناطق زندر ودوكودتشي، تاركين أرضهم لقبائل الطوارق. وأفراد قبائل الهاوسا يشكلون نحو نصف سكان البلاد ومنتشرون فيما بين النيجر ونيجيريا، ويعملون في التجارة والصناعة والزراعة.

٥ ـ قبائل الكانوري: ويقطنون في أقصى شرق النيجر بين زندر وبحيرة تشاد. وهم يعيشون مع قبائل الهاوسا، الذين يطلقون عليهم اسم «البري بري». وكانوا في الماضي أتباعاً لمملكة «كانم» ثم لامبراطورية البرنو. يعمل أفراد قبائل الكانوري في استخراج الملح والصيد وتربية الحيوانات.

والأمر الملاحظ والمرتبط بالنظام القبلي، هو تمسك القبائل إلى اليوم بنظام السلاطين في المدن والمناطق التي تستقل عن بعضها من حيث نظام السلاطين الذي استمر قائماً لأسباب تتعلق بتدين أهل النيجر وارتباط السلطان تاريخياً بنظام الخلافة الإسلامية. والسلطنات الخمس التي ما تزال قائمة هي: سلطنة آيبرا وآهير في منطقة الطوارق في الشمال ومقرها أغاديس، والثانية

سلطنة داماجرم ومقرها زندر، والثالثة سلطنة مرادي والرابعة سلطنة تبري ومقرها الجنوب، والخامسة سلطنة دوسو ومقرها شرق العاصمة نيامي.

ويلاحظ أيضاً بأن العلاقة دقيقة بين السلاطين وبين الحكام الرسميين. فالسلطان يمثل القبائل والأهالي وينقل مشاكلهم إلى الحاكم، فهو يمثل الناس أمام الحكومة. بينما الحاكم يمثل الحكومة أمام الناس.

وكان السلطان يتقاضى ١٠٪ من دخل الضرائب طوال عهد الاحتلال، وهو نظام ابتدعه الاستعمار الفرنسي. أما السلاطين الصغار وهم بمثابة زعماء لقبائلهم، فإنهم يتقاضون مكافآت من الحكومة أيضاً. بينما شيوخ القبائل يعيشون على نسبة ١٠٪ من الرسوم التي يجبونها لخزانة الدولة.

وبالرغم من تغير أنظمة الحكم، غير أن سلاطين السلطنات الخمس لا يزالون يعيشون مظاهر وطقوس العصور الغابرة. فلكل سلطان ثيابه الخاصة المطرزة بخيوط الذهب وله قصره وحرسه الخاص من حملة السيوف الافريقية الطويلة، وله حاشيته الخاصة. ولا تزال في قصر سلطان زندر قبور كافة أجداده السلاطين منذ (٧٠٠) سنة، أحيطت بكافة مظاهر العناية والتكريم والإجلال. وهو الأسلوب المتبع أيضاً في فناء قصر سلطان آهير المقام في أغاديس.

ويلاحظ تقاليد السلطنة في نيامي كما في سواها. لكن المشكلة أن نيامي هي العاصمة ومركز السلطة السياسية. وهي بمثابة القلب للنيجر بعد أن نقل المركز عام ١٩٢٦ من زندر في وسط

الجنوب إلى نيامي في الطرف الأقصى من الجنوب الغربي. وكان المبرر الأول لهذا النقل هو موقع نيامي على نهر النيجر. فهذا النهر يبلغ طوله (٤٢٠٠) كيلومتر، غير أنه لا يمر منه في جمهورية النيجر سوى (٥٥٠) كيلومتراً فحسب، مما جعل أكثر أراضي النيجر صحراء قاحلة باستثناء المناطق الجنوبية الغربية.

ومن عادات نيامي وبعض مناطق النيجر الاحتفال بتنصيب السلاطين في جو احتفالي أشبه ما يكون بالعرس وسط الزينات الملونة والثياب الزاهية والرقص القبلي والطقوس المتوارثة. وفي مقدمة الحضور المشايخ والفقهاء والعلماء، ويتقدم قاضي المنطقة أو فقيهها مفتتحاً الحفل بالأدعية والتراتيل. ثم يتقدم السلطان للصلاة ساجداً لله تعالى حامداً نعمه وفضله. ثم يقرأ الفقيه الفاتحة والأدعية، فيردد الحاضرون عبارات: لا إله إلا الله محمد رسول الله والحمد لله رب العالمين. وتستمر الاحتفالات بمختلف مباهجها مع جموع المنشدين والمغنين وقارعي الطبول. وعندما ينتقل السلطان إلى قصره لا يبارحه لمدة أسبوع حيث يتقبل التهاني من وفود المهنئين من مختلف المناطق.

وفيما يختص بالعادات والتقاليد الاجتماعية فهي مرتبطة إلى حد كبير بالمعتقدات الإسلامية وبالعادات القبلية. وكانت تقاليد الزواج عبئاً ثقيلاً على العريس. فأصدرت الدولة عام ١٩٧٤ قراراً قضى بألا يتجاوز المهر ألف فرنك فرنسي (٥٠ ألف سينا بالعملة المحلية) بدلاً من خمسة آلاف فرنك في المتوسط كما تضمن القرار ضرورة اقتصار حفلة الزواج على ثلاثة أيام بدلاً من أسبوع، غير أن هذا القرار لم يُلتزم به سوى سنوات قليلة سرعان ما عادت التقاليد القديمة إلى أصولها.

أما المهر عادة في نيامي ومناطق النيجر فهي عبارة عن جمل أو بقرة مع عدة عنزات، علماً أن بعض المدن اعتمدت الدفع نقداً. وللخطبة عادات وتقاليد خاصة، يفضل أهل المناطق الزواج من أقاربهم. وعند الإنجاب لا تتم تسمية المولود إلا بعد أسبوع حيث يجتمع الأهل والأصدقاء في ساعة مبكرة من الصباح. ويقرأ إمام المسجد الفاتحة، ثم يعلن اسم المولود، ويوزع الجورو وهو نبات الكولا على جيمع الحاضرين. ويذبحون بعد ذلك شاة يأكلونها في الغداء.

أما فيما يختص بالتعليم في نيامي خاصة والنيجر عامة، فهو أن أحد أسباب انتشار الأمية في البلاد، أن المسلمين كانوا يرفضون الالتحاق بمدارس الفرنسيين. وكان الناس يكتفون بالكتاتيب ليعلموا أولادهم القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه. ثم يخرجونهم للعمل حيث يرتدون إلى الأمية بعد سنوات. ومما ساعد على انتشار الجهل أيضاً إن الفرنسيين لم يطبقوا في النيجر نظم التعليم والإدارة التي فرضوها فرضاً في مناطق أخرى خاضعة لنفوذهم.

أما فيما يختص باللغات السائدة في النيجر، فهي لغات متعددة منها لغات القبائل واللغة العربية واللغة الفرنسية. والملاحظ أن خطبة الجمعة تلقى في أنحاء النيجر باللغة العربية أولاً، ثم يقدم الوعظ باللغة المحلية للأقليم. وفي العاصمة نيامي يتعامل الناس بلغتين هما: الهاوسا وزرما بالإضافة إلى اللغة العربية. كما أن اللغات المحلية تكتب بحروف عربية.

وفي عام ١٩٦٥ صدر مرسوم بنقل الإشراف على المدارس الأهلية التي تعلم العربية من وزارة الداخلية إلى وزارة التربية والتعليم خلافاً لما كان سائداً زمن الفرنسيين. من ناحية أخرى أنشئت في وزارة التربية إدارة خاصة لتعليم اللغة العربية. وأصبحت اللغة العربية تدرس في مدارس النيجر مناصفة مع اللغة الفرنسية. ويشمل تدريس العربية القرآن الكريم والحديث والفقه والتربية. وبالرغم من تعدد المدارس في الوقت الحاضر فإن النيجر لا تزال تعاني من الأمية حيث لا يتجاوز نسبة المتعلمين ٣٪. وبالإضافة إلى المدارس الحكومية يوجد في نيامي ومدن النيجر مدارس الفرنكو آراب وعددها (٤٥) مدرسة.

أما الأوضاع الاقتصادية في البلاد، فإنها تعتمد على الزراعة، و٩٠٪ من السكان يعملون في الزراعة. لهذا السبب فإن حكومة النيجر تعتبر أن توفير المياه للبلاد من أهم القضايا الحيوية التي تشغلها. كما يتوزع الاقتصاد بين مناطق الزراعة والتجارة في الجنوب ومناطق الرعي في الوسط والصحراء الجرداء في الشمال.

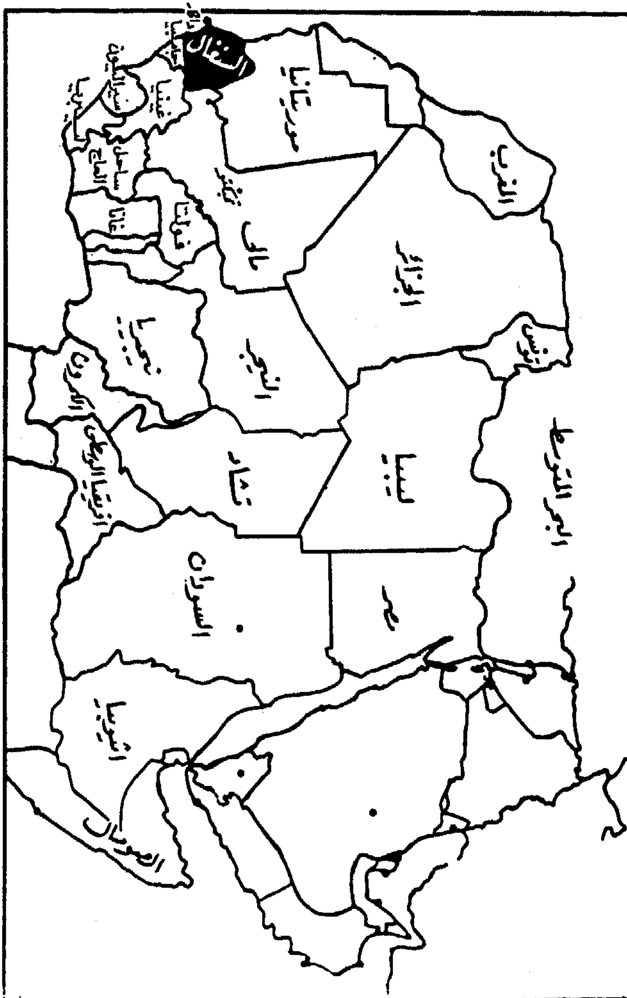
وقد احتلت الزراعة والغابات والمواشي ٤٧٪ من جملة النشاط الاقتصادي، واحتلت التجارة ١٢٪ بينما احتلت المناجم ٩٪.

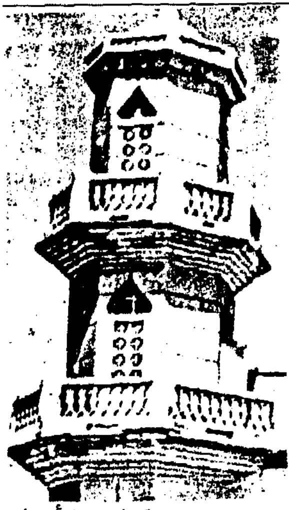
ومن المنتجات الزراعية السائدة في البلاد الذرة والأرز. والفول السوداني والقطن ونبات الكولا (الجورو). ولكن الجفاف أثر في انخفاض الإنتاج الزراعي وفي ضرب الثروة الحيوانية حيث نفق ٦٠٪ من الأبقار و٣٧٪ من الأغنام و٣٨٪ من الجمال. غير أن النيجر استطاعت في الفترات الأخيرة تجاوز هذه المحنة الاقتصادية.

على صعيد آخر فإن النيجر تمتلك كميات كبيرة من اليورانيوم لا سيما في منطقة «ارليت». ويقدر الاحتياطي الثابت من هذا المعدن الثمين بحوالى (٢٨٠) ألف طن. وهو يمثل ٧٥٪ من جملة صادرات البلاد. كما تتميز البلاد بوجود الفحم وإنتاج الفخار والصناعات الفخارية والصناعات الجلدية والأقمشة وصناعة الزوارق واستخراج الملح وصيد الأسماك.

إن مدينة نيامي مثال حي للحياة الإسلامية في النيجر، وهي مدينة نابضة بالقيم والتقاليد والعادات الإسلامية كسواها من مدن وبلدات النيجر.

دكار


السنغال
موريتانيا
مالي
الجزائر
المغرب
تونس
ليبيا
مصر
النيجر
نيجيريا
تشاد
السودان
أثيوبيا
الصومال
البحر المتوسط
غانا
فولتا
ساحل العاج
أفريقيا الوسطى



دكار

دكار عاصمة السنغال موقعها في افريقية الغربية. عدد السكان في الجمهورية حوالى (٤) مليون نسمة، بينما عدد سكان العاصمة دكار حوالى ٣٧٥ ألف نسمة. مساحة البلاد (٢٠٠) مئتي ألف كيلومتر مربع. ودكار مرفأ على الأطلسي وقاعدة بحرية وجوية. كانت جمهورية السنغال تؤلف مع مالي بين عامي ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ اتحاد مالي. أما اليوم فإنها دولة مستقلة.

إن دكار التي اعتنقت الإسلام منذ قرون، تعاني من بعض جوانب حياتها «فَرْنَسةً» واضحة بسبب السيطرة الفرنسية السابقة. وكان الإسلام قد دخل إلى السنغال ـ ولم تكن تعرف بهذا الاسم يومذاك ـ منذ قرون عديدة، وبالتتابع.

وكان عقبة بن نافع مقيماً في نواحي برقة وزويلة منذ ولاية عمرو بن العاص، فجمع من أسلم من البربر، وسار إلى افريقية (تونس اليوم) واحتلها وأسلم أهلها، حتى اتصل ببلاد السود في غرب افريقيا. ومنذ عام ٥٠ للهجرة والإسلام بدأ ينتشر في شمال افريقيا وغربها. وأشارت الدراسات الافريقية في غرب افريقية إلى

وجود اثني عشر مسجداً في مدينة غانه حوالى عام ٦٠ هجرية - ٦٧٩ ميلادية. وساعد فيما بعد المرابطون على توسيع نطاق الإسلام في تلك المناطق.

قام التجار المسلمون برحلات إلى هذه المناطق في غرب افريقيا، وقاموا بدور بارز في مجال الدعوة الاسلامية بين القبائل الافريقية. وازداد الاتصال بهذه المناطق والقبائل في عهد حفيد عقبة بن نافع، عبد الرحمن بن حبيب الفهري (١٢٧ - ١٣٢ هـ). وفي هذه الفترة التاريخية لم تكن السنغال موجودة كاسم أو كدولة، وإنما كان يوجد مكانها مجموعة من القبائل والممالك والامبراطوريات الإسلامية. والتكوين السياسي للسنغال إنما تم في القرن التاسع عشر، عندما عملت فرنسا على جمع قبائل المنطقة وممالكها في مملكة واحدة هي السنغال. ثم قسمت الحدود بين دول غرب افريقيا لأول مرة عام ١٨٩٥.

وشكلت السنغال منذ القرن التاسع عشر دوراً مهماً بالنسبة لفرنسا فلم تكن مستعمرة عادية، إنما كانت قاعدة انطلاق وجسرها الأول إلى دول غرب القارة. على سواحلها وضعت أقدامها في البداية، ومنها زحفت لتغزو أركان غرب افريقيا. كما أصبحت دكار مدينة هامة لا سيما بعد أن أصبحت عاصمة للبلاد أثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥. وأصبحت مقراً للحاكم الفرنسي ومركزاً للإدارة والتجارة والمواصلات الجوية والبرية.

وبالرغم من أن فرنسا سعت إلى «فرنسة» البلاد، وأنشأت منذ عام ١٩١٩ في جزيرة سان لويس السنغالية معهداً لتخريج جيل سنغالي يكون تابعاً للثقافة الفرنسية، غير أن بعض خريجي هذا

المعهد ظلوا يضغطون منذ الثلاثينات مطالبين باستقلال البلاد. ولما وصل الجنرال ديغول إلى الحكم عام ١٩٥٨، تجاوب مع مطالب السنغاليين، وأعلن استقلال البلاد في تموز (يوليه) ١٩٥٨. غير أن السنغال ظلت ضمن «المجموعة الفرنسية لما وراء البحار» واستمرت قواعد فرنسا البرية والجوية قائمة إلى الآن في دكار وفي تياسي.

إن قبائل السنغال، قبائل زنجية بالدرجة الأولى، وتتكلم (١٣) لهجة. من هذه القبائل:

١ ـ قبيلة «الولوف» وهم سكان الساحل، وهم الأكثر عدداً. حيث يشكلون حوالى مليون ونصف مليون نسمة. والمجتمع في قبيلة «الولوف» منقسم بدوره إلى ثلاث طبقات هي: الأحرار (جامبر) وهؤلاء هم الأشراف ورجال الدين والفلاحون. الحرفيون (جيج) وهم أصحاب المهن ورواة السير والمغنون والعازفون. طبقة العبيد (جام) وهي الطبقة التي تضم الأسرى والسبايا والأرقاء.

٢ ـ قبيلة «الفلان» وهم سكان الصحراء شرقي السنغال، الذين كانوا أول من اعتنق الإسلام في غرب افريقيا.

٣ ـ قبيلة «التكولور» يسكنون وادي السنغال المحيط بالنهر. وتأثرهم واضح بالموريتانيين شكلاً وملامح، وبالولوف في النظام الاجتماعي. وهم ينقسمون إلى ثلاث طبقات: الأشراف وأهل العلم، الفلاحون، أهل الحرف والمهن.

٤ ـ وأخيراً قبيلة «السرير» وهم أهل الغابات سكان الجنوب والغرب، وكانوا على الوثنية.

هذه القبائل المنتشرة في دكار ومختلف مناطق السنغال تبلغ حوالي ٤ مليون نسمة، يدين ٩٣٪ منها بالإسلام، و٥٪ بالنصرانية، و٢٪ بالوثنية.

والمسلمون في دكار ومدن السنغال الأخرى يدينون بالمذهب المالكي شأن مسلمي شمال افريقيا. وتتوزع أكثرية المسلمين في البلاد على أربع طرق صوفية هي: القادرية، التيجانية، المريدية، واللاهينية. ولكل طريقة خليفة عام رئيسي.

منذ دخل الإسلام غربي افريقيا، انتشرت اللغة العربية بين السكان والقبائل. لأن الإسلام بطبيعته وعقائده وتعاليمه وكتابه الكريم يقتضي تعلم اللغة العربية. وأثّرت هذه اللغة على اللهجات المحلية بما يزيد على ٥٠٪. ومنذ قرون ساهم الإسلام في تعريب القبائل وتعريب لهجاتها وعاداتها.

مع سيطرة فرنسا على البلاد، شهدت العربية صراعاً ومنافساً منظماً هي اللغة الفرنسية. فقد اتبعت فرنسا أساليب سياسية وثقافية لفرنسة السنغال والقضاء على العربية ومحتواها الديني والأدبي والثقافي والاجتماعي. وقد بدا ذلك واضحاً من خلال المدارس والثانويات.

ومنذ عام ١٩١٢ أكد أحد المسؤولين الفرنسيين في دكار هذه التوجهات بقوله «يجب أن تكون سياسة فرنسا صارمة في أفريقية الغربية. يجب وضع حد لنشاط معلمي المدارس العربية والكتاتيب القرآنية والمرابطين في البلاد. إن تساهلنا مع هؤلاء يعني أننا نهيء بأنفسنا اعتناق الأفارقة التدريجي للإسلام، وبهذا نكون قد أخذنا بيد الإسلام، ودفعنا عجلة تقدمه إلى الأمام»

وبالرغم من أن فرنسا أصدرت العديد من القوانين التربوية، وقامت بممارسات عديدة لتطويق اللغة العربية، غير أن هذه اللغة لغة القرآن الكريم استمر أهل دكار والسنغال على تعلمها وتلاوتها. ففي كل قرية سنغالية يوجد العشرات ممن يتقن العربية، بل إن قبائل «الولوف» لا يزالون يكتبون لغتهم بحروف عربية. ولكن مما لا شك فيه بأن الممارسات ضد اللغة العربية لم يكسبها مميزات التطور والتقدم بين السنغاليين الذين احتفظوا بأساليبها وطرائقها القديمة كأساليب اللغة في القرن التاسع عشر. غير أن الخريجين السنغاليين من الجامعات العربية استطاعوا تصحيح مسار لغتهم العربية، وينتظر أن يقوموا بدور بارز في هذا المضمار في بلادهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن اللغة العربية تدرس في المدارس الأهلية الخاصة وفي المدارس الحكومية. وكانت اختيارية مع بدء استقلال السنغال، غير أنه منذ العام الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ أصبحت إجبارية لا سيما لطلاب المرحلة الابتدائية. وفي المرحلة الثانوية يتعلم الطالب اللغة الفرنسية والانجليزية، وعليه الاختيار للغة ثالثة بين الايطالية أو الاسبانية أو العربية. وفي جامعة دكار يمكن لمن يرغب الالتحاق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب.

هذا، وتدرس العربية في المعهد الإسلامي في دكار في المساء وفي العطلات الصيفية. كما أن إذاعة دكار تبث برنامجاً يومياً باللغة العربية لمدة نصف ساعة. كما أن لوزارة الاعلام نشرة رسمية متواضعة باللغة العربية. وفي عام ١٩٧٩ تشكل في دكار «الاتحاد الوطني للكتاب والصحفيين السنغاليين الناطقين باللغة العربية» الذي سعى إلى تكوينه بعض خريجي الجامعات العربية لا سيما الجزائر. وصارت مهمته تكريس الثقافة العربية والدفاع عنها،

وتجميع أبناء هذه الثقافة من الجامعيين حتى لا يجرفهم تيار الثقافة الفرنسية الغالب على الثقافة السنغالية والعربية.

يحافظ سكان دكار والسنغال على عاداتهم القديمة بلبس الطربوش أو القبعة السنغالية ولبس الجلباب الزاهي وحمل السبحات الطويلة في الرقاب. وبالحفاظ على رقصاتهم الشعبية. وفي دكار عدد من المساجد والزوايا وأضرحة الأولياء وزوايا الفقه المالكي وزوايا الطرق الصوفية. ويحافظ السكان على أداء صلواتهم لا سيما أيام الجمع والأعياد. وهم يحتفلون بعيد الفطر (كور) وبعيد الأضحى (تبكسي) وبذكرى المولد النبوي (جمو) وبذكرى عاشوراء (تمخرت) وبأعياد الطرق الصوفية. كما يستقبلون شهر رمضان استقبالاً مميزاً بالأناشيد والمدائح النبوية. ومن الملاحظ أن مدائح النبي محمد ﷺ تحتل كماً كبيراً وغير عادي في إطار نتاج الأدباء السنغاليين الذين يكتبون باللغة العربية.

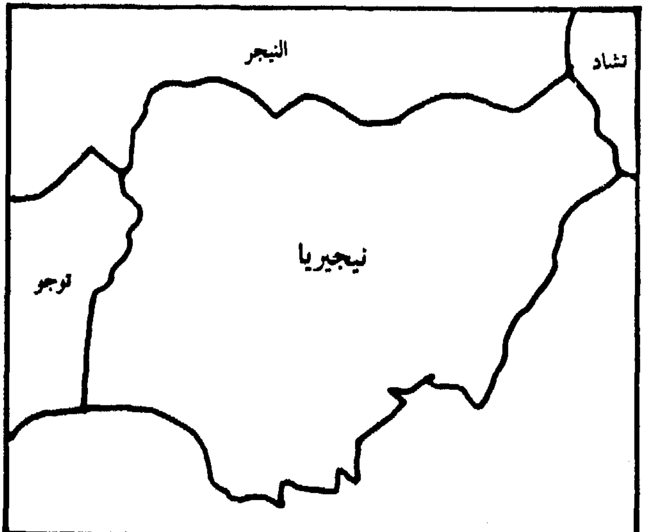
هذا ويوجد في دكار معالم ومواقع أخرى مثل جامعة دكار، ومعهد افريقيا السوداء، والمعهد الإسلامي، واتحاد الجمعيات الثقافية الإسلامية الذي يضم أكثر من أربعين جمعية ويهدف لتعليم الإسلام والعربية، جمعية النهضة الثقافية الإسلامية، وجمعية الفلاح...

وتتميز دكار ومناطق سنغالية أخرى بوجود حرف يدوية كثيرة وبصيد الأسماك. كما تميزت بزراعة الفول السوداني التي تمثل نسبة ٨٠ ـ ٨٥٪ من الإنتاج الزراعي. ويستخدم في إنتاج الزيت. بالإضافة إلى ذلك تنتج السنغال القطن، الأرز والفوسفات. غير أن

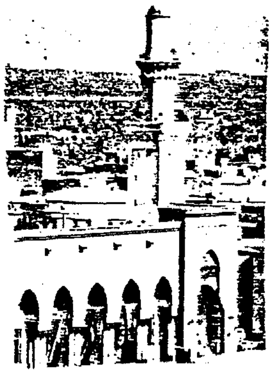
السنغال لا تزال تعـاني من عدم تـوفر الميـاه وإيصالهـا إلى جميع المنازل.

لقد مرت السنغال عبر تاريخها الطويل بتجـارب قاسيـة كانت أكثرها مرارة فترة تصدير العبيد منها بواسطة الـرجل الأبيض. وهي تستذكر ذلك الماضي بألم شديد. وتستذكر من جهة أخرى مفاعيل الإسلام عبر العصور، فترى فيه العامل الوحيد الذي وحدها وشـد من أزرها أمام المصاعب والشدائد، وهو الذي استطاع تحـريرهـا وتقويتها.

لاغوس



لاغوس



لاغوس عاصمة جمهورية نيجيريا الواقعة في أفريقية الغربية يحدها من الغرب والشمال داهومي والنيجر، ومن الشرق بحيرة تشاد والكاميرون. كما تقع على رأس خليج غينيا بالمنطقة المدارية. وتصل مساحتها إلى ٩٢,٤٠٠ ألف كلم². بينما يبلغ عدد سكان نيجيريا (١٠٠) مليون نسمة. ولهذا تسمى نيجيريا باسم «عملاق أفريقية». نالت البلاد استقلالها عام ١٩٦٠، وأعلنت جمهورية عام ١٩٦٣.

والحقيقة فإن اسم نيجيريا أطلق على هذه البلاد الأفريقية عام ١٩١٤ من قبل الاحتلال البريطاني، وذلك نسبة إلى نهر النيجر الذي يخترق نيجيريا من الشمال الغربي حتى الجنوب الشرقي.

والعاصمة لاغوس هي حسب التقسيم الإداري ولاية من أصل تسع عشرة ولاية هي: انمبرا، بورتو، بوتشي، غونغولا، كانو، كادونا، سوكوتو، نيجر، كوارا، بينوي، اويو، أرغون، أوندو، لاغوس، بندل، البحار، ايمو، عبر البحر، الهضبة.

أما عن دخول الإسلام إلى لاغوس وبقية مناطق نيجيريا، فتشير المصادر التاريخية إلى دخول الإسلام منذ القرن الثامن الميلادي،

بواسطة التجار المسلمين الذين وفدوا إليها من الشمال الافريقي عبر الصحراء الكبرى. وكانت قبائل ودولة «الهوسا» أقدم الدول التي اعتنقت الإسلام، والتي يرجع أصلها إلى القرن العاشر تقريباً. وقد اعتبرت أحد مراكز التوسع الإسلامي في افريقيا منذ دخلها الإسلام في القرن الثالث عشر مع قوافل التجار عبر الصحراء من شمال افريقيا والجزيرة العربية. فلقد اتخذت قوافل التجار وقبائل البربر طريقها صوب الجنوب للإقامة الدائمة بعد أن سيطر العرب على بلاد الغرب.

وكان تدفق الإسلام منذ دخوله إلى المغرب للمرة الأولى ثم انتشاره إلى غرب أفريقيا يتوقف على عاملين:

الأول - إسلام شعب الطوارق الذي تبنى الدعوة والجهاد، وخاصة في زمن عقبة بن نافع. حتى أن كثيراً من القبائل تفخر بالانتساب إليه حتى اليوم. ومنهم بعض قبائل الفولاني في شمال نيجيريا. ولقد كان عقبة أول من حمل الطوارق على الإسلام وتبعه في نشر الدعوة كثير من أولاده.

الثاني - ضعف مقاومة دولة غانا القديمة، وتسرب الإسلام إليها آخر الأمر، كان عاملاً أفسح الطريق لنشر الإسلام في غرب أفريقيا كله. ولقد قامت سلطنة «ملي» التي أسسها شعب المادنجو دوراً كبيراً في تفكك دولة غانا وإنشاء سلطنة إسلامية امتدت حتى منطقة النيجر الأوسط في الفترة من عام ١٣٠٧ إلى ١٣٢٢. وكذلك قامت سلطنة

إسلامية أخرى هي سلطنة «سنغي» التي تقع منطقة سيادتها على ضفة النيجر الأوسط. وكان أهلها قد اعتنقوا الإسلام في منتصف القرن الحادي عشر.

ولا بد من الإشارة في مجال انتشار الإسلام في لاغوس ومدن نيجيريا، هو أنه عظم أمر المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي نتيجة لنفوذ (الموحدين) و(المرابطين) الذين أقاموا دولتهم في المغرب العربي.

ونتيجة لانتشار الإسلام واضمحلال الوثنية، فإن لاغوس يغلب عليها وعلى سكانها الطابع الإسلامي. وبلغ عدد المسلمين في نيجيريا ثمانون مليون مسلم، بينما بلغ عدد النصارى ١٥٪ وعدد الوثنين ٥٪ من السكان.

يتوزع السكان على عدد من القبائل تضم (٢٥٠) قبيلة لكل منها لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها. وأكبر هذه القبائل: الهوسا، الأيبو، اليوربا، الفولان، والكنوري.

وطبقاً للتقسيم الإداري نجد في الاقليم الشمالي الذي يشغل ٧٥٪ من مساحة الدولة حوالى ٦٠٪ من جملة السكان. ويتحدث ٤٠٪ منهم بلغة الهوسا. ويرتبط هذا الاقليم بحركة الفتوحات الإسلامية في شمال وغرب أفريقيا. ولذلك فمعظم سكانه يدينون بالإسلام.

ومن أهم قبائل هذا الاقليم الهوسا التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها الفولاني التي تمثل ١٠٪، ثم نيوب وتيف وكانوقي.

ويلي الاقليم الشمالي من حيث تعداد السكان الاقليم الشرقي

الذي تصل مساحته إلى ٣٠ ألف ميل مربع. ويعيش فيه ٢٥٪ من سكان نيجيريا. ومن أكبر قبائله ايبو التي تمثل ١٩٪ من سكانه. وتليها مجموعة قبائل صغيرة جداً مثل قبائل ايبو وايجو.

أما الاقليم الغربي، فرغم أن مساحته ٤٥ ألف ميل مربع، فهو أقل الأقاليم الثلاثة سكاناً، فلا يتجاوز نصيبه أكثر من ١٥٪ من السكان، ومن أكبر قبائله اليوربا التي تمثل حوالي ١٨٪ من سكانه. وقد اختلف الباحثون حول الأصول الأولى لسكان الأقليم الغربي. فالبعض يقول إنهم من صعيد مصر، وفريق آخر يرى إنهم من شرق أفريقيا أو الجزيرة العربية، وهم في الحقيقة خليط من كل هذه الأجناس.

والأمر الملاحظ انتشار الطرق الصوفية وزواياها في لاغوس ومناطق أخرى. وقد قامت هذه الطرق الصوفية بدور بارز في نشر الإسلام في نيجيريا. وتعتبر القادرية أقدم طريقة صوفية أدخلها الشيخ عثمان بن فودي الفولاني. واستطاع تأسيس امبراطورية إسلامية واسعة أقامت الشريعة الإسلامية في السودان الغربي وأعالي السنغال وبلاد الهوسا منذ القرن الثالث عشر الميلادي.

وتعتبر حركة الشيخ عثمان الفولاني حركة إصلاحية إسلامية ضد العادات والتقاليد الوثنية التي كانت ما تزال سائدة في نيجيريا. وما زالت نيجيريا الإسلامية تدين حتى اليوم لحركة ذلك المجاهد. وكان لأحفاده شرف الجهاد والدفاع عن البلاد من الاستعمار البريطاني.

ومن الطرق الصوفية السائدة في لاغوس وسواها الطريقة التيجانية. غير أنه من الملاحظ أن الاستعمار البريطاني شجع على

انتشـار بعض الفرق التي لا تمت إلى الإسـلام بصلة وهي الفـرق الهدامة منهـا: الفرقـة القاديـانية أو الأحمـدية التي أسسهـا أحمـد القادياني في الهند في القرن التاسع عشر الميلادي. وفرقة ميتاتسين التي ظهرت في الأربعينات في كانو على يد مؤسسها محمـد مروه الموفي، وهو من أصل وثني ادعى أنه اعتنق الإسـلام. وبواسـطة ادعـاءاته أثـار الفتن بين المسلمين في نيجيريـا والتي أسفرت عن آلاف الضحايا. ومن الفـرق الأخرى البهـائية، وهي انتشـرت مع انتشار وسيطرة الاستعمار البريطاني في المنطقة.

ولا تزال لاغوس ومناطق نيجيريا الأخرى تعاني من درر الحركة الصهيونية في المجتمعات الإسلامية والمؤسسات الاقتصادية.

وتخوفاً من نفوذ الحركات السياسية والدينية الهدامة في نيجيريا والعاملة ضد الإسلام والمسلمين، فقـد سارعت «جمعيـة الدعـوة الإسلامية العالمية» للعمل بأساليب عدة لحماية المسلمين ولـدعم المؤسسات الإسلامية النيجيرية، والمساهمـة في بناء واستكمـال بناء المســاجـد والمــدارس والمستشفيـات ودعم صنــدوق الأوقـاف الإسلامية الذي يتولى الإشراف على عدد من المدارس والمساجد والمراكز الإسلامية، وإرسال عدد من الدعاة إلى مختلف الأقـاليم للدعـوة إلى الإسـلام، وتنـويـر المسلمين بـأمـور دينهم. وتقــوم الجمعيات والهيئات الإسلامية النيجيرية بـدورها في هـذا المضمار، بالتعاون مع المؤتمر العام للدعوة الإسـلامية بـاعتبارهـا من أعضاء المؤتمر.

هذا ولا بد من الإشارة إلى أن أكبر دولة إسلامية في أفريقية لا تزال تعاني من أخطار ثلاثية وهي: الصهيونية، البعثات التنصيرية،

والفرق الهدامة. وقد استوجب ذلك جهود أساسية ومضنية من قبل المسلمين النيجيريين للحفاظ على دينهم ومعتقداتهم الإسلامية.

هذا وينتشر في العاصمة لاغوس العديد من المعاهد والمدارس الإسلامية والمدنية. وتنتشر المساجد في لاغوس وكانو ومختلف المناطق والمدن النيجيرية. وهناك جامعات منها جامعة لاغوس وجامعة بايرو في كانو. ومن مزايا مساجدها لا سيما مسجد لاغوس إنهاتزدحم بالمصلين بحيث أن المصلين يضطرون للصلاة في الفضاء خارج المسجد. وهذه صفة عامة في مختلف مساجد نيجيريا.

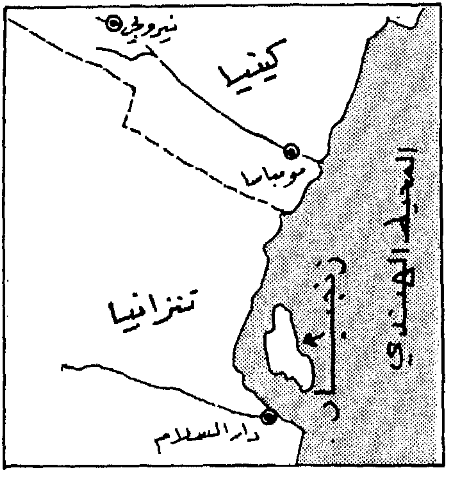
تتميز نيجيريا بالإنتاج الزراعي وإنتاج الفواكه وزيت النخيل وخشب الكاكاو والمطاط.

ويلاحظ بأن عدداً كبيراً من النيجيريين يحرصون على تعلم اللغة العربية لارتباط ذلك بحفظ القرآن الكريم. كما أن المدارس والمعاهد الإسلامية تدرس اللغة العربية، وتحرص على تعليم القرآن الكريم. والواقع فإن التعاون بين المسلمين في نيجيريا وبعض الدول العربية والإسلامية ساهم في تطور تعليم اللغة العربية وفي إرساء الدين الإسلامي في مواجهة التيارات الهدامة.

والمسلمون في لاغوس يحرصون على الاحتفال بالأعياد الإسلامية لا سيما عيدي الفطر السعيد وعيد الأضحى. كما يحرص المسلمون على صيام شهر رمضان المبارك.

لاغوس عاصمة لدولة إسلامية كبرى. وفي حال توظيف المسلمين والعمل الإسلامي في نيجيريا يمكن أن تتكون طاقات إسلامية أفريقية تعمل لما فيه خير الإسلام والمسلمين ليس في أفريقيا فحسب، وإنما في العالم الإسلامي أيضاً.

زنجبار


نيروبي
كينيا
مومباسا
تنزانيا
زنجبار
دار السلام
المحيط الهندي



زنجبار

زنجبار من المُدن الإسلامية العربية العريقة، تقع على الساحل الشرقي لافريقيا حيث يحدها من الشمال مومباسا وكينيا عامة ومن الجنوب والشرق تنزانيا وعاصمتها دار السلام، ومن الغرب المحيط الهندي. وتبلغ مساحتها حوالى (١٦٠٠) كلم مربع، وعدد سكانها حوالى (٣٠٠) ألف نسمة.

وزنجبار لفظ أطلقه العرب على هذه المنطقة، وهي كلمة عربية تعني «بر الزنج». وكان العرب وتحديداً العُمانيين قد سيطروا على الساحل الشرقي لأفريقيا منذ القرن الأول الميلادي. وامتد نشاطهم التجاري حتى الهند. وتشير المصادر التاريخية إلى أن عُمان استعصت على بني أمية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي فوَّض الحجاج بن يوسف الثقفي في بسط نفوذ الأمويين على عُمان. فأرسل الحجاج جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه الرغبة، فآثر سلطانا عُمان سليمان وسعيد ابنا عبد الجلندي أن يغادرا وأهلهما عمان إلى أرض الزنج زنجبار، لأنها كانت تخضع للعمانيين وفيها تواجد عماني كثيف.

كانت زنجبار تخضع لسلطنة عمان سواء في عهد السلاطين اليعاربة أو سلاطين آل البوسعيد. وكانت السلطة العمانية تمتد إلى مومباسا وماليندي ومقديشو وأسمرة وبعض المدن في وسط أفريقيا. وقد ظلت سيطرة العمانيين على زنجبار وساحل شرق أفريقيا حوالى ألف عام. ولم تنقطع السيطرة العمانية على زنجبار وشرق أفريقيا إلا لفترات قصيرة بسبب رحلات الاستكشاف البرتغالية، ثم من الاستعمار البرتغالي نفسه، إلى أن طرد الإمام سلطان بن سيف البرتغاليين من عمان ومن ساحل شرق أفريقيا.

في عام ١٨٢٨ قام السلطان سعيد بن سلطان بزيارة إلى زنجبار، وفي الفترة ذاتها أصدر قراراً جعل من الجزيرة الزنجبارية مقره الرسمي وعاصمة لسلطنة يحكم منها عمان وساحل أفريقيا. عند ذلك ازدادت هجرة العمانيين إلى الجزيرة وتكثف وجودهم. وتبين للقوى الأوروبية أهمية موقع هذه الجزيرة، فبدأت الصراعات للسيطرة عليها بين بريطانيا وألمانيا، ثم بين ايطاليا وفرنسا وبريطانيا وأميركا. وتم التوقيع على معاهدة صداقة بين أميركا وزنجبار عام ١٨٢٣، وبين بريطانيا وزنجبار عام ١٨٣٩. ولم يكن توقيع هذه المعاهدات من واقع ضعف سلطان زنجبار، ذلك إن السلطان سعيد كان يملك أسطولاً بحرياً قوياً مؤلفاً من خمسة وسبعين سفينة في كل سفينة (٥٦) مدفعاً، فقد كان صاحب أقوى أسطول موجود في المنطقة الواقعة بين رأس الرجاء الصالح حتى اليابان.

بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان في ١٩ تشرين الأول (اكتوبر) ١٨٥٦ ثار الخلاف بين الأخوة، فتدخلت بريطانيا للمصالحة وقسمت الحكم بين الأخوين، فجعلت عمان من نصيب

السلطان ثويني بن سعيد، وجعلت زنجبار من نصيب السلطان ماجد. ومنذ ذلك التاريخ انفصلت زنجبار عن عمان. وبسبب تفاحل الخلاف بين الأسرة الحاكمة في زنجبار عقد مؤتمر بروكسل لبحث وضع القارة الأفريقية برمتها. وفي ضوئه قسمت أفريقيا بين الدول الأوروبية المتصارعة. وقسمت زنجبار عام ١٨٨٦ بين بريطانيا وفرنسا وألمانيا.

وتبين بأن بريطانيا أحكمت قبضتها على زنجبار، وشجعت على هجرة الأفارقة إليها، ثم عملت على تعميق الهوة بين العرب والأفارقة والتمييز بين ما هو عربي وما هو أفريقي.

هذا وتنتشر في زنجبار اللغة العربية واللغة السواحلية التي ٧٠٪ منها من أصل عربي والباقي من جذور أفريقية، بالإضافة إلى انتشار الانجليزية. ولا يزال العرب العمانيون يقيمون في زنجبار يمارسون أعمالهم وشعائرهم الدينية بشكل عادي.

أما فيما يختص بشوارع ومناطق وعمارة زنجبار، فيشعر الناظر إنه في مدينة عربية إسلامية. فالعمارة على الطراز العربي، والأثر العماني واضح مع مؤثرات هندية وأفريقية. ويلاحظ بأن الأبنية القديمة يحفر على مداخلها عبارات اللغة العربية مستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية أو عبارات مستقاة من العقيدة الإسلامية مثل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مع ذكر التواريخ الهجرية والميلادية.

ويهتم أبناء زنجبار بالزراعة المتنوعة، فإلى السلطان سعيد يعود الفضل في أنه أول من شجع زراعة شجر القرنفل في الجزيرة. وبفضله أصبحت زنجبار اليوم أكبر مصدر للقرنفل في العالم كله.

وينتشر في الجزيرة أيضاً زراعة جوز الهند والقصب السكري والذرة والمانجو وصيد السمك. ومن ملامح المدينة المميزة الغابات الكثيفة من أشجار جوز الهند «النارجيل» والقرنفل، وتعبق الطرقات العامة بروائح زهر القرنفل والزهور البرية. وتُقطع عدة ألياف شجر «النارجيل» ليستخرج منه الزيوت من ثمره. كما يمارس بعض أهالي زنجبار العمل التجاري وبيع الأقمشة والعطارة وأدوات الزينة وسواها.

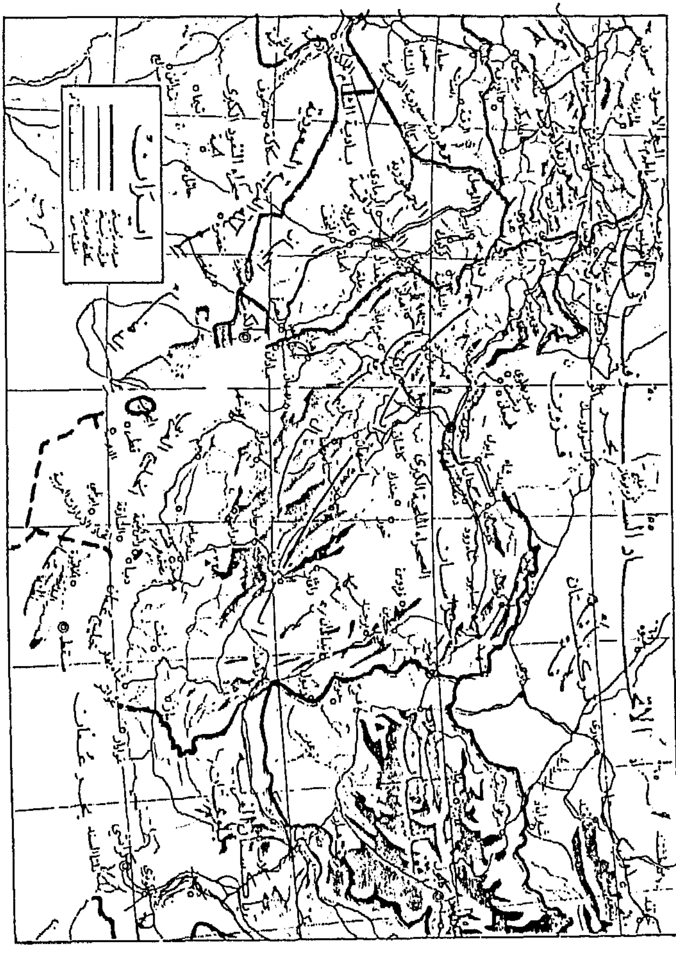
يحرص أبناء زنجبار على التمسك بأهداب الدين الإسلامي ومعتقداته، لذا يلاحظ كثرة المساجد والمعاهد الدينية للمحافظة على الإسلام. كما انهم يحرصون على إقفال محالهم التجارية لتأدية الصلاة ظهراً أو عصراً مع الجماعة في المسجد. كما تتميز زنجبار بقلعتها التاريخية القديمة وبمينائها المشرف على المحيط، وبأسواقها الإسلامية المتخصصة مثل سوق العطارين وسوق النحاسين وأسواق أخرى على غرار بقية الأسواق الإسلامية المعروفة في العواصم الإسلامية. كما أن عادات سكان زنجبار وتقاليدهم هي عادات وتقاليد إسلامية عربية وعُمانية تحديداً.

زنجبار تلك المملكة العربية الإسلامية، ومفتاح الشاطىء الشرقي لأفريقيا، زنجبار تلك الجزيرة العربية لغة وتاريخاً وتراثاً وحضارة وحكماً، لم تعد اليوم تلك المملكة أو المدينة التي عرفت عبر التاريخ، فقد جرى فيها بعض التدخلات الافريقية بعد استقلالها عن بريطانيا في كانون الأول (ديمسبر) عام ١٩٦٣، وبمساعدة بريطانية حدث انقلاب دموي في زنجبار خلع به السلطان وتدخلت القوة العسكرية في البلاد. وفي ٢٦ نيسان (ابريل) عام

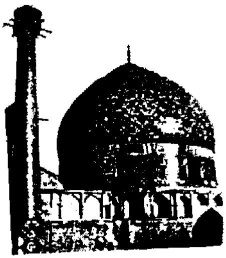
١٩٦٤ أعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار، وأصبح اسم الدولة الجديدة تنزانيا واختيرت دار السلام عاصمة لها. ونص اتفاق الوحدة ثم الدستور على أن يتولى الرئاسة جوليوس نيريري من تنجانيقا وأن يليه في الرئاسة حاكم زنجبار.

وهكذا ضاعت زنجبار وانتقلت من مرحلة التعريب إلى مرحلة الأفرقة، غير أن سكانها لا يزالون يدينون بالولاء للعروبة والإسلام. وهم لا ينتمون فقط إلى زنجبار العربية الإسلامية، بل يذكرون على الدوام أن في العالم العربي توأم لمدينتهم هي مدينة زنجبار المدينة المشهورة في جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، ويذكرون بأن جذورهم عربية إسلامية تعود إلى الجذور العُمانية العربية.

ايـران



ايران



جغرافية وسكان إيران

تقع إيران في قارة آسيا في منطقة من أهم المناطق الاستراتيجية والجغرافية عاصمتها طهران. يحد إيران من الشمال بلاد القوقاز وبحر الخزر والتركستان الروسية، ويحدها من الشرق أفغانستان وباكستان، ومن الجنوب بحر عُمان ومضيق هرمز، ومن الغرب العراق وتركيا. يحيط بإيران روسيا والمناطق السوفياتية السابقة التي تمتد حدودها في شمال إيران أكثر من ألفي كيلو متر، وأفغانستان، والعراق وتركيا في الغرب، ومعنى ذلك أن تلك الدول المحيطة بها هي بمثابة بؤر للتوتر والخلافات التاريخية منذ القدم.

تبلغ مساحة الجمهورية الإسلامية في إيران ١,٧٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع، أما عدد سكانها حسب إحصاء أجري قبل الثورة الإسلامية، فقد بلغ عدد السكان حسب إحصاء عام ١٩٧٧ ما مجموعه ٣٣,٥٩١,٨٧٥ نسمة، بينهم نحو مليون ونصف مليون كردي يقطنون كردستان الإيرانية، ونحو نصف مليون في مقاطعة بلوخستان، ونحو نصف مليون تركماني يسكنون صحراء التركمان. وبين الأكراد السنة عدد كبير من الشيعة يقطنون منطقة كرمنشاه. كما

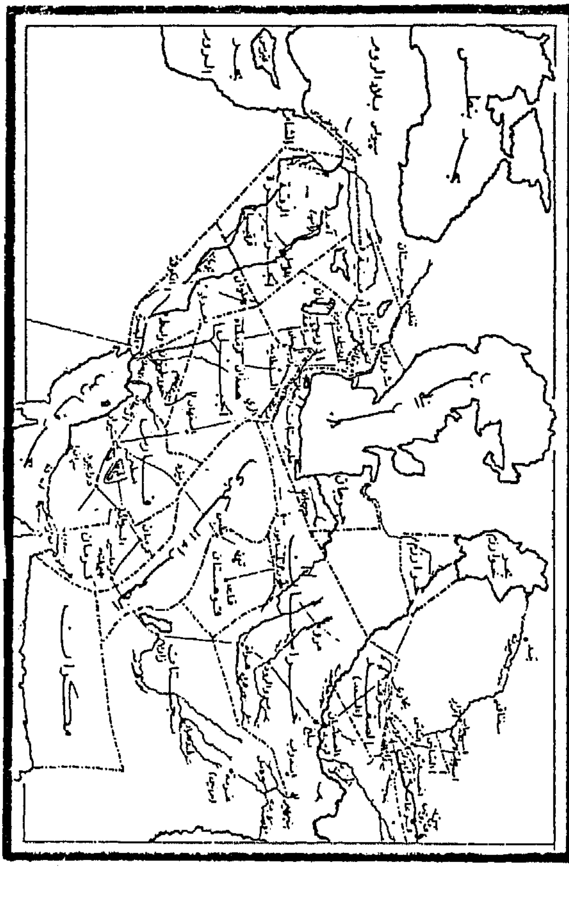
أن فيهم عدداً من العلويين الذين يطلقون على أنفسهم اسم «أهل الحق» وهم جزء من نحو مليون ونصف مليون علوي يسكنون ضواحي كرمنشاه وكرند وذهاب وزنجان وقزوين وفي طهران ذاتها وضواحيها. كما أن في إيران عدداً من الإسماعيليين الأغاخانيين أكثرهم في مناطق خراسان وكرمان[1].

ويوجد في إيران طوائف غير إسلامية من الزرادشتيين والمسيحيين الأرمن والأشوريين والبهائيين واليهود. وتنتشر هذه الطوائف في طهران ويزد وكرمان وشيراز وأصفهان وتبريز ومراغة ومناطق أخرى.

أما المناخ في إيران فيعتبر معتدل نسبياً، يشبه مناخ البحر المتوسط، غير أن البرودة تشتد شتاءً لا سيما في الأقاليم الشمالية والغربية التي تشهد تساقط الثلوج في المناطق المرتفعة. كما أن سواحل الخليج تشهد الحر الشديد. ويبلغ معدل ارتفاع هضبة إيران نحو ألف وتسعمائة قدم.

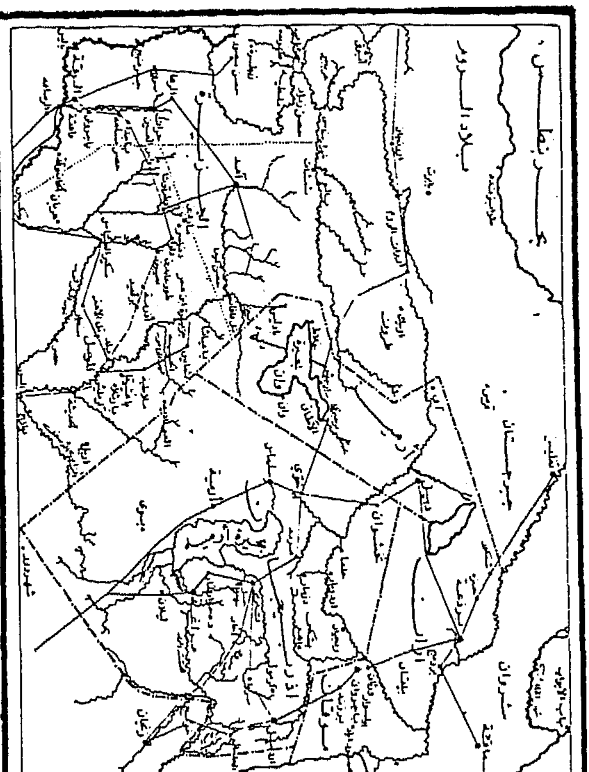
وتعتبر الزراعة في إيران من أهم القطاعات الاقتصادية نتيجة لخصوبة تربتها واهتمام السكان بهذا القطاع، ذلك أن أكثر سكان إيران يعملون في الزراعة أو في المهن أو القطاعات المتصلة بها. يوجد في إيران أكثر من ٣٣,٠٠٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية يزرع فيها مختلف أنواع الزراعات لا سيما القمح والقطن والأرز والشمندر والعنب والبندق والجوز واللوز والفستق وأنواع

(١) السيد حسن الأمين: ثورة إيران في جذورها الإسلامية الشيعية، ص ٥، ملف النهار ـ بيروت ١٩٧٩.



الطرق الرئيسية في الولايات الشرقية.. في عهد الخلافة العباسية.

(هذه الخريطة وبقية الخرائط اللاحقة نقلاً عن: بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية).



ولايات الثغور في الشمال الغربي.. مع قسم من الجزيرة وأذربيجان.

البطيخ والجوت والليمون والخضراوات والفواكه. أما التمر فيعتبر من أهم المنتجات الإيرانية. وتواجه إيران مناطق صحراوية كبيرة تصعب فيها الزراعة بشكل جيد منها صحراء «لوت» وصحراء «كوبر» وصحراء «التركمان». فالصحراء واسعة في إيران لا سيما في المناطق الوسطى والشرقية(١).

أما فيما يختص بالصناعة في إيران، فإنها ارتبطت منذ سنين بعيدة بالزراعة وبالحرف والمهن، ثم بدأت تتطور تباعاً مع اكتشاف البترول منذ عام ١٩٠٨، بحيث نشأت صناعات بترولية. كما تهتم إيران بالصناعات الكيمائية والصناعية والمنسوجات والألبسة والصناعات الحريرية والقطنية والصوفية بالإضافة إلى صناعة الأثاث والأخشاب والصناعات الذهبية والفضية والنحاسية والحلي وسواها من صناعات متنوعة(٢).

هذا وقد كان للشعب الإيراني دور فاعل في الحياة العلمية الإسلامية، وبات جزءاً حيوياً في ميدان العلوم عند العرب والمسلمين.

دور إيران في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي والعربي

أفرزت فارس الإسلامية عدداً وفيراً من الأئمة والعلماء والأدباء والمفكرين، قاموا بدور بارز في نهضة العلوم عند العرب والمسلمين. ولا شك بأن الإسلام هيأ للفرس (للإيرانيين) عملية البحث والتنقيب والتأليف. ولهذا لا يمكن أن ينكر ما للمسلين الإيرانيين من دور في الحياة العلمية في العالمين الإسلامي

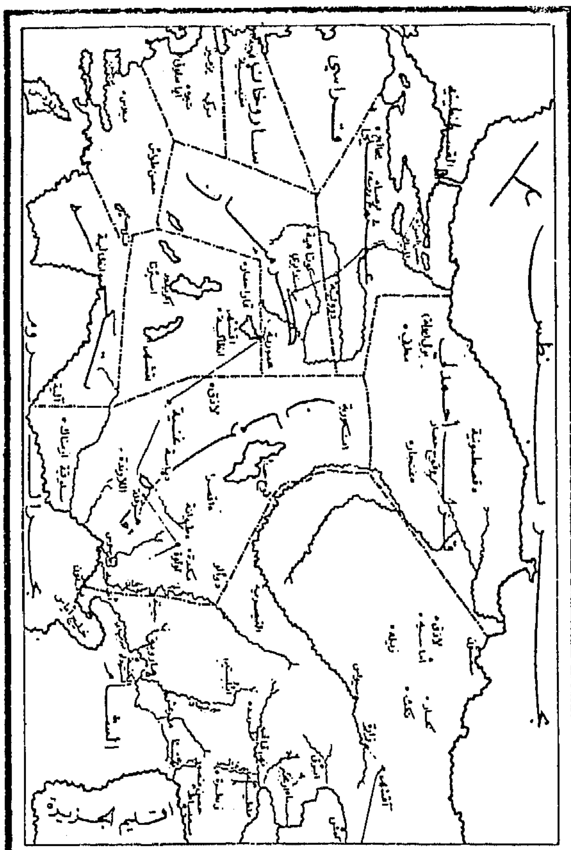
(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٦.

(٢) اهتمت إيران بإقامة معارض لمصنوعاتها المتنوعة منها معارض بيروت في عامي ١٩٩١-١٩٩٢ والتي شهدت إقبالاً شديداً من الجمهور اللبناني.

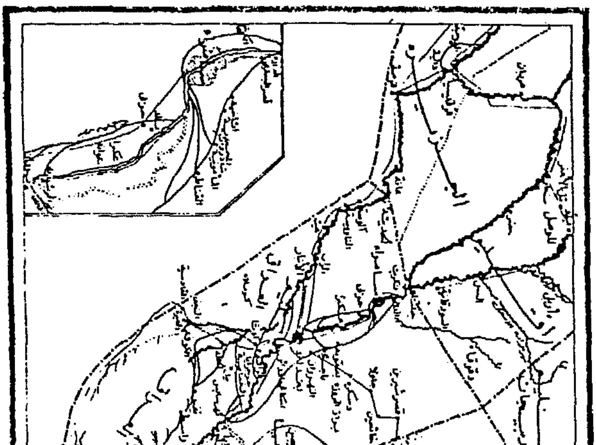
والعربي. فابتدأ دورهم يظهر في العهد الأموي، غير أن دورهم الفاعل كان في العصور العباسية. فقد سبق لإبراهيم الفزاري أن ترجم للمنصور كتاب الفلك الهندي المعروف باسم «السند هند» ثم جاء محمد الخوارزمي (من خوارزم) فلخصه للمأمون. والخوارزمي هو الذي اقتبس كتاب بطليموس في صورة الأرض وأضاف إليه، ووضع أول كتاب مستقل في الجبر. ومن هنا فإن اسمه لا يزال خالداً إلى اليوم في كلمة (Algorithm)[١]. وقد اخترع الخوارزمي نظريات وطرقاً جبرية لتسهيل عمليات الجبر، لا سيما المتعلقة منها بعلم الميراث (علم الفرائض) فألف كتاباً مشهوراً باسم «الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة»[٢]. وقد ساهم في تطور الرياضيات مع الخوارزمي كل من العلماء: الكرخي، الطوسي، البيروني وعلماء من المناطق والمدن العربية والإسلامية الأخرى.

ويعتبر صحيح بخاري ومسلم من أهم الأسانيد المعتمدة في مجال الحديث الشريف. وكان خلف بن أحمد أمير سجستان وإسماعيل الساماني أمير بخارى كانا يرويان الحديث تبركاً واعتزازاً. ونهض الإمام أبو حنيفة بعلم الفقه فأدخل فيه الرأي والقياس، واستطاع بذلك أن يجعله علماً له أسس وقواعد كسائر العلوم[٣]. وكانت نيسابور أول مركز علمي هام في خراسان ظل محتفظاً بمكانته حتى زمن السلجوقيين الذين اتخذوا مرو عاصمة

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٠٣-٢٠٤.
(٢) للمزيد من التفصيلات أنظر: د. ماهر عبد القادر، د. حسان حلاق: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٦-١٩٩.
(٣) السيد حسن الأمين: ثورة إيران، ص ٢٢.



ولاية بلاد الروم



ولايتا العراق وخوزستان وقسم من ولاية الجزيرة.

لهم، وانتقلوا بعد ذلك إلى أصبهان. ومن الأئمة العلماء المشهورين الفقيه النيسابوري (من نيسابور) الذي ترجم له ابن خلكان.

وكانت في بخارى عاصمة السامانيين مكتبة هامة ورد ذكرها في أخبار ابن سينا، وابن سينا نفسه حصل على علومه ومعارفه كلها في بخارى، وبرز في الفلسفة أيضاً البلخي والرازي. وكان من الصعب تصنيف العلماء المسلمين في علم واحد قائم بحد ذاته، لأن أكثرهم عملوا في أكثر من علم.

هذا وقد أنجبت خوارزم شخصيتين من أعظم الشخصيات العلمية في الإسلام هما: الزمخشري في العلوم النقلية وأبو الريحان البيروني أستاذ العلوم العقلية وأول من أدخل منهج المقارنة في العلم. ومن الأطباء المسلمين الفرس البارزين إسماعيل الجرجاني ومن العلماء الفلاسفة الإمام الرازي والإمام الغزالي. ومن علماء الرياضيات الشهير عمر الخيام الذي بنى الزيج المعروف باسم الزيج الملكشاهي، وهو الذي أدخل إصلاحاً جديداً في التقويم الفارسي ـ التقويم الجلالي[1]. كما برز في الأدب ابن المقفع وبرز الكثير من الشعراء بالفارسية والعربية.

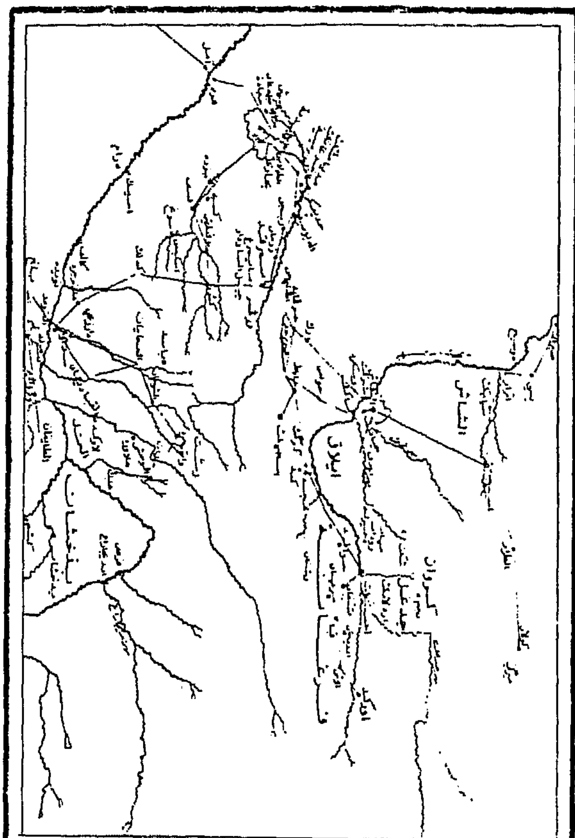
وممن برز في العلوم العقلية بعد ابن سينا العالم نصير الدين الطوسي الذي ساهم مساهمة فاعلة في إنقاذ التراث الإسلامي في فترة حكم المغول. وكان أبو زيد البلخي قد وضع مصوراً جغرافياً، وجعله ذيلاً لأطلس إسلامي سبق أن وضعه الخوارزمي.

(١) السيد حسن الأمين، المرجع السابق، ص ٢٥، بروكلمان، المرجع السابق، ص ٢٧٦.

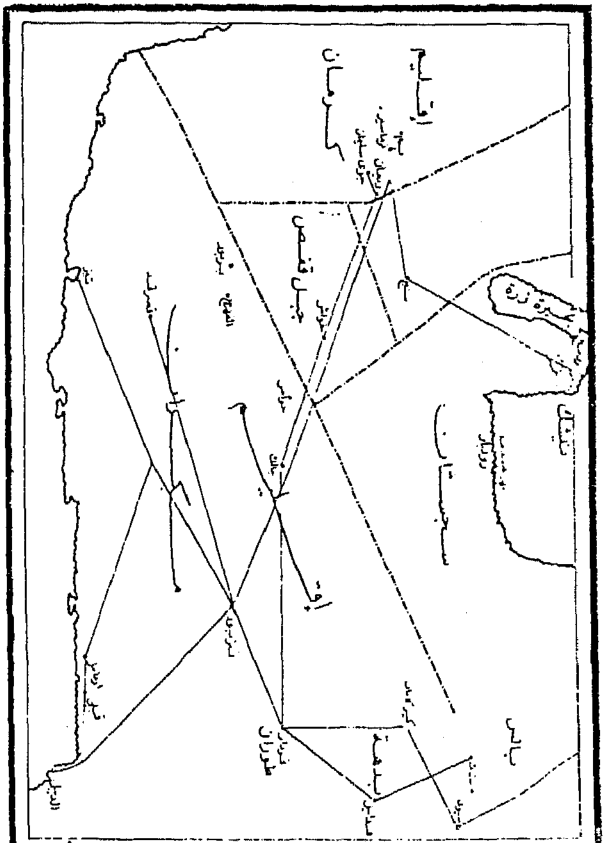
ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية أبو جعفر محمد بن جرير بن كثير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ) من طبرستان في قزوين، الذي اشتهر في تفسيره الجامع للسنن وفي تاريخه الموسوعي «تاريخ الرسل والملوك» أو «تاريخ الأمم والملوك» وهو موسوعة شاملة للتاريخ[١]. وكذلك أبو الفضل محمد بن حسين البيهقي (من بيهق في خراسان)(٣٨٥-٤٧٠هـ، ٩٩٥ - ١٠٧٧م) الذي اشتهر بالسنن وكتاب تاريخ البيهقي[٢]. ومن الأعلام الذين عرفوا بكتاباتهم التاريخية في عهد سلاطين المغول المسلمين حمد الله المستوفى القزويني (ت ٧٥٠ هـ) وفي علم الهيئة والمراصد بزر نصير الدين الطوسي صاحب مرصد مراغة، ومنهم العالم قطب الدين الشيرازي. ومن أطباء العهد المغولي الإسلامي رشيد الدين فضل الله الهمداني الذي اشتغل بعدة علوم غير الطب[١].

وبما أننا لسنا هنا بصدد فهرسة شاملة للعلماء المسلمين الفرس ولمصنفاتهم العلمية فإن بإمكان الباحث أو الدارس أو القارىء الاطلاع على كتاب الفهرست لابن النديم، والفهرست للطوسي وعلى كتاب ابن أبي أصيبعة «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وعلى مصنفات الفهارس العلمية القديمة حتى يتبين مدى مساهمة العلماء المسلمين الفرس إلى جانب أخوانهم من العلماء المسلمين العرب

(١) أنظر: حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي، ص ٣٥١-٣٥٧.
(٢) حسان حلاق، المرجع نفسه، ص ٣٥٨-٣٦٦.
(١) للمزيد من التفصيلات عن دور الفرس في الحياة العلمية وعن الحياة الثقافية عند الايلخانيين ومظاهرها الإسلامية أنظر: د. محمد أحمد محمد: إسلام الايلخانيين، ص ١٠٦-١٢٩، شركة الصفا - القاهرة ١٩٨٩.



ولايتا سيحون وجيحون.



ولاية مكران مع جزء من ولاية سجستان

في تطور العلـوم: في الطب والهندسة والعمارة والرياضيات والفلك والتقويـم والفيزياء والكيمياء والفلسفـة والأدب والشعر والمـوسيقى والصيدلة والعلوم كافة.

لمحة تاريخية

تعتبر البلاد الفارسية موطن الآريين القدماء وموطن لحضارات قديمة حيث تعـرضت هذه البـلاد لموجـات يونـانية ورومـانية كمـا تعـرضت البلاد لمـوجات مجـوسية وتـأسست في تلك البلاد دول عديدة منها الدولة الميدية غير أن أهم هذه الدول في التاريخ القديم مـا أسسه «كـورش» عـام ١١٨١ ق.م. وعـرفت دولتـه بـالـدولـة الأخمينية وهو الذي اعتنق الديانة الـزُرداشتية وتـوسعت الدولـة في عهده مسافات عديدة وفي عهد ابنه «قمبيز» ثم فتح مصر وفينيقيـا (البلاد السورية) وخضعت له مناطق عديدة في الشرق والغرب[1]. وكانت الامبراطورية الفارسية قد أصبحت الدولة الأولى في المنطقة وكانت دولة الفرس ودولة الروم تتنازعان على مناطق النفوذ إلى أن ظهر الإسلام وبدأ يتسع نفوذه وسيطرته وبدأت بالمقابـل قوة دولـة الفـرس ودولة الـروم تتضاءل في المنـطقة وانتصـر المسلمـون في

(١) للمزيد من التفصيلات عن الحضارة الفارسية أنظر كتابنا: ملامح من تاريخ الحضارات، ص ١٠١ - ١٠٧، أنظر أيضاً:

Dicks, B; The Ancient Persians, London 1979.

- Browne, E.G; A Literary History of persia, Cambridge 1964.

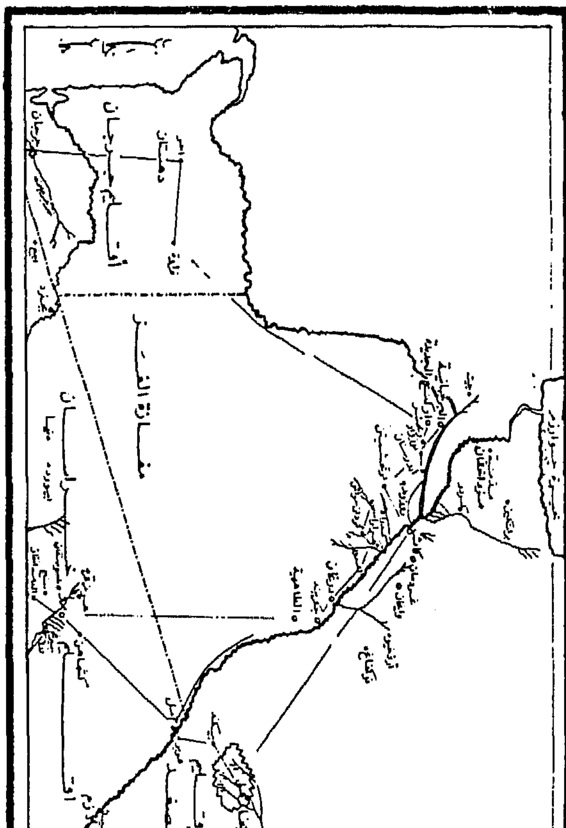
- Olmstead, A.T.e; History of the Persian Empire, Chicago 1948.

وللمزيد من التفصيلات عن تاريخ إيران انـظر: د. عبد العـزيز نـوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٢٠ وما يليها من صفحات.

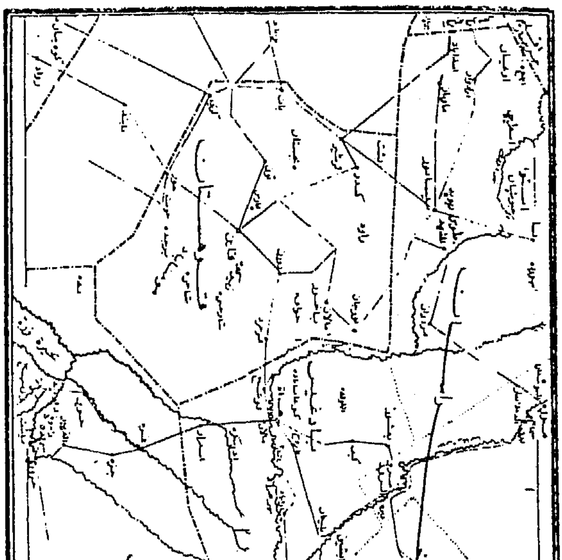
معارك عديدة خاضوها ضد الفرس مما سهل انتشار الإسلام في الامبراطورية الفارسية واعتبر كسباً للمسلمين الذين ازداد عددهم[1]. وفي عهود الخلفاء الراشدين وفي العهود الأموية والعباسية والفاطمية وسواها من العهود الإسلامية تبين بأن المسلمين الإيرانيين قاموا بدور بارز في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية حيث اندمجوا في المجتمعات العربية والإسلامية وقد تعرضت إيران والمنطقة إلى غزوات في العهود الإسلامية منها غزوات المغول واجتياح تيمورلنك للمنطقة بقيادة جنكيزخان وقد أزال حفيد جنكيزخان القائد هولاكو الدولة العباسية في بغداد واستمر في تقدمه نحو الغرب، غير أن المغول هزموا فيما بعد في معركة عين جالوت في فلسطين عام ٦٥٨ هـ ١٢٦٠ م أمام المماليك الذين حلت دولتهم مكان الدولة الأيوبية.
ومن استقر من المغول في أرض الإسلام اعتنق الدين الإسلامي وأصبح جزءاً من المسلمين وبعد هذه الفترة برزت الأسرة الصفوية نسبة إلى «الورع التقي صفي الدين المتوفى عام ١٣٢٨ م» ثم برز الشاه إسماعيل الصفوي بين جوٍ من النزاعات الداخلية فاعتمد على القوى العسكرية التركية ويقال إن أصله تركي واعتمد إسماعيل على القبائل الفارسية الأفغانية مثل قبائل شاملو وذو القدر وقاجار وأفشار وسواها. وكان أول هجوم شنه الشاه إسماعيل الصفوي ضد منطقة باكو في أذربيجان واحتل تبريز وأعلن نفسه رسمياً شاهاً على فارس فأصبح بذلك زعيماً روحياً ودنيوياً في آن واحد. ورائداً للمذهب الاثني عشري في إيران. واجهت الشاه إسماعيل عدة قوى منافسة له تمثلت بالقوى التالية:

---

(١) أنظر: Girshman, A; L'Iran des Origines à L'Islam Paris 1951.



ولاية خوارزم



اقليم قوهستان وخراسان وجزء من سجستان

١ ـ الدولة العثمانية في العراق والزعيم مراد بن يعقوب زعيم قبائل آلاق قوينلو.
٢ ـ إمارة آلاق قوينلو في إمارة البستان في شمالي البلاد.
٣ ـ الأسطول البرتغالي في الخليج.
٤ ـ مناطق خراسان وشمالي شرق فارس وفيها الزعيم محمد الشيباني رئيس قبائل الأوزبك.
٥ ـ الأفغان في الشرق.

غير أن الشاه إسماعيل استطاع القضاء عام ١٥٠٠ على إمارة البستان كما أنه حاول التوَجه نحو العراق لأسباب اقتصادية وسياسية ودينية بسبب وجود العتبات المقدسة فيها وقد تخوف العراق وطلب مساعدة القوى المملوكية في فترة ثم اعتمد في فترات أخرى بعد عام ١٥١٧ على القوى العثمانية.

العلاقات الإيرانية العثمانية

ظهرت الدولة العثمانية كقوة جديدة في المنطقة فبدأت في منافسة إيران والبرتغال في الخليج والقوى الأوروبية المتنافسة للسيطرة على المنطقة وبدأ السلطان سليم بشن غزواته ضد الإيرانيين فانتصر على الشاه إسماعيل عام ١٥١٤ م وهذا أحدث انقلاباً في ولاءات الإمارات والدويلات القائمة في المنطقة واستتبع ذلك انتصار الأتراك على المماليك في معركة مرج دابق عام١٥١٦م وفي معركة الريدانية عام ١٥١٧ م فدانت لهم بلاد الشام ومصر. واستمرت قوى القبائل والقوى العثمانية تشكل خطراً على

إيـران إلى أن تولى الحكم الشـاه «طهمسب» عام ١٥٢٤ م بعد وفاة والده الشاه إسماعيل وكان عليه مواجهة العثمانيين في الغرب وقبائل الأوزبك في الشـرق وزعيمهم في هذه الفتـرة عبيـد الله خان المـوجود في العـراق الـذي سبق لـه اجتياح خـراسان[١]، غيـر أن استخـدام الجيش الإيـراني لـلأسلحـة النارية الحديثة أخلَّ الميزان العسكري وجعل هزيمة الأوزبك ممكنـة وقد انتصـروا فعلاً عليهم وبـدأ التنافس واضحـاً بين إيران والدولة العثمانية للسيطرة على العراق الأمر الـذي أفرز تحالفات جديدة في كلا الطرفين فقد تحالفت إيران مع المجر في حين تحـالفت الدولـة العثمانيـة مع فرنسا. ولمـا توتـرت الأوضاع بين الجانبين سارعت الدولة العثمانيـة إلى احتلال العراق وتبريز وشيراون وجيلان وسلطانية واستمرت الحروب بين الطرفين في هذه الفتـرة إلى عام ١٥٤٨ م ولكن نتيجـة للتسويات السياسية بينهما فقد تم الصلح بين الجانبين وعرف باسم صلح أماسيا عام ١٥٥٤ م الذي نص على ما يلي:

١ ـ تترك ولاية قارص وقلعتها للدولة العثمانية.

٢ ـ تحديد حدود ولاية شهرزول منعاً لـوقوع الحـوادث المعكرة لصفو الأمن بين الدولتين.

٣ ـ تـأمين سلامـة الحجاج الإيـرانيين الذاهبين لـزيـارة العتبـات المقدسة في العراق والأماكن المقدسة في الحجاز.

---

(١) أنـظر: كارل بـروكلمان: تـاريخ الشعـوب الإسـلاميـة، ص ٤٩٩، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

في هذه الأثناء تردت الأوضاع الاقتصادية في إيران وابتدأت العداوة بين الشاه وأولاده فانتهى الأمر بدس السُم له فصرع عام ١٥٧٦ م فتولى الحكم من بعده ابنه إسماعيل الثاني ولكن لم يتسنَ له الحكم كثيراً فانتهى الأمر بمقتله بعد سنتين من توليه الحكم عام ١٥٧٨م. وبعد وفاته وقعت الحرب الأهلية بين أخوته في سبيل الصراع على السلطة وكان ذلك مقدمة لبروز شخصية إيرانية قوية هو الشاه عباس الكبير (١٥٨٨-١٦٢٩) الذي حكم ما يقارب ٤٠ عاماً وقد وجد الشاه عباس الأعداء التقليديين لإيران ما زالوا كما هم ولكنه استطاع أن يخفف من حدة التوتر بعقد معاهدة مع العثمانيين عام ١٥٩٠ م[1]. وبالرغم من توقيع هذه المعاهدة وتجميد المناوشات العثمانية غير أن خطر الأوزبك كان لا يزال ماثلاً على البلاد حيث امتدت سيطرتهم على هراة وخراسان وعلى مشهد وفي ضريح الإمام الرضا وعلى سرخس ومرو وكانت الخلافات بين قبائل الأوزبك ووفاة زعيمهم عبد الله خان مقدمة لضرب الشاه لهم. ولما انتهى الشاه من الخطر الداخلي الممثل بالأوزبك نقض المعاهدة التي وقعها مع العثمانيين فبدأ في عام ١٦٠٣ بمهاجمة العثمانيين فاسترد منهم قارص وتبريز وشيروان كما نقل عباس عاصمته من قزوين إلى أصفهان ثم حاول الشاه التمدد نحو العراق منتهزاً تمرد الضابط الانكشاري بكر صوباشي في بغداد عام ١٦٢١ م. غير أن العثمانيين استطاعوا استيعاب تمرد بكر

(١) بمقتضى هذه المعاهدة تنازل الشاه عباس الكبير للعثمانيين عن أذربيجان والكرج (جورجيا) وجزء من لورستان. بروكلمان، المصدر السابق، ص ٥٠٣.

صوباشي ثـم القضاء عليه. ثم رأى الشاه ضرورة العمـل لاحتلال البصرة لأسباب اقتصادية ومنها ضرب البـرتغاليين الـذين يسيطرون على التجارة في المنطقة، وفي هذه الأثناء توفي الشاه عباس الكبير عـام ١٦٢٩م. خلف الشاه عباس الكبير حفيده سام ميرزا(١) الـذي تسمى باسم أبيه «صفي» عند ارتقائه العرش. وكان عهد ميرزا من أسوأ العهود الفارسية باعتباره طاغية، غير أنه على الصعيد الخارجي وفق في صد غارات التركمان في خـراسان، ولكنـه أضاع قندهـار وبغداد.

في عام ١٦٤٢ تولى الحكم عباس الثاني الذي استرد قندهار وأخمد ثورة الكرج عام ١٦٥٩، وأقام العدل بين رعاياه، غيـر أنه تورط في الإدمان والمسكـرات. ثم خلفه في الحكم صفي الـذي سمي بسليمان عند ارتقائه العرش عام ١٦٦٧. ثم جاء من بعده ابنه حسين عام ١٦٩٤ الذي أوكل شؤون الدولة إلى رجال الـدين وفي مقدمتهم الملا محمد باقر مجلسي(٢).

وكان السلطان العثماني مراد الرابع قد تولى الحكم وبدأ حملته العسكرية ضد إيران ابتداء من عام ١٦٣٨ م وانتهى الأمر كالعادة إلى تسوية سياسية بين الجانبين وإلى عقد معـاهدة عـام ١٦٣٩ م التي يمكن اعتبارها من الأسس التي قامت عليها معاهدات الحدود بين إيران والعراق فيما بعد وقد تضمنت المعاهدة:

---

(٢) سبق لعباس أن قضى على ابنه البكر صفي ميرزا، لذلك خلفه حفيده.

(٢) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٥٠٦. لا بـد من التنبه إلى منهج بروكلمان في كتابه الذي اعتمد في بعض فصوله وصفحاته على إثارة النعـرات بين السنـة والشيعـة كمـا ورد مثلاً في صفحـات ٤٩٩، ٥٠٦...

١ ـ تحديد موقع الحدود بين إيران والعراق على اعتبار أن بدرة وجيسان ومندله ودرتنك والسهول الواقعة بين تلك المدن وعشائر الجاف وعشائر قطور تابعة للدولة العثمانية.
٢ ـ إن الممر المؤدي إلى شهرزور هو الحد الفاصل بين الدولتين.
٣ ـ يتم الاتفاق لاحقاً حول منطقة عربستان (المنطقة الجنوبية)..

العلاقات الإيرانية ـ الأفغانية(١)

تعتبر أفغانستان من المناطق الأكثر أهمية في العالم الأسيوي نظراً لأهميتها الاستراتيجية وسكان أفغانستان هم شعب «الباثان» ولهجته هي الباشتو بينما اللغة الرسمية هي اللغة الفارسية ويتكلمها كل الأفغانيين ويتكون الشعب الأفغاني من قبائل العبدلي ـ غيلزاي ـ الأوزبك ـ المغول تيماني وطاجيق. وكانت أفغانستان تتجاذبها قوتان عملاقتان هما امبراطورية المغول في الهند والأسرة الصفوية في إيران وقد احتل الفرس فترة منطقة قندهار وأسندوا حكمها إلى أمير جورجيا جوركين الذي كان تابعاً للشاه وقد كانت معاملة أمير جورجيا للأفغانيين معاملة سيئة مما حدا بالأفغانيين للقيام بالثورة ضد هذه الممارسات وجرت معارك بين إيران وقندهار انتصر فيها الأفغانيون وكان ذلك مقدمة لغزو الأفغانيين لخراسان.

بدأت الحملة العسكرية الأفغانية ضد إيران بقيادة القائد أسد الله زعيم قبيلة العبدلي وبقيادة حاكم هراة مع خمسة آلاف مقاتل وتحالف قبائل الأوزبك الأفغانية، وقد واجهت هذه القوى

---

(١) أنظر: د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٢٧٣ وما يليها من صفحات.

القوات الفارسية وانتهت المعارك بانتصار الأفغان وبذلك ظهرت إمارة أفغانية جديدة على حدود فارس الشرقية من هراة ثم شرعت قوات العبدلي في اجتياح خراسان وشيروان واستمرت الحملات الأفغانية باتجاه المدن الإيرانية التي تساقطت الواحدة تلو الأخرى. وفي هذه الأثناء تولى الأمير محمود الأفغاني مهمة اجتياح إيران فعرض عليه الإيرانيون التوقف عن الزحف لقاء مبلغ كبير من المال غير أنه رفض العرض وصمم على الاستمرار في التقدم نحو أصفهان مستقوياً بالمدفعية الأفغانية وكان لا بد من لقاء بين القونين في معركة جلنباد في عام ١٧٢٨ م.

وكانت نتيجتها لمصلحة الأفغان وتقدم الأفغان نحو أصفهان وكان سقوطها يعني حدثاً هاماً بالنسبة للإيرانيين وللأفغانيين أنفسهم فاستسلمت مدينة أصفهان عام ١٧٢٨ م وبذلك سقطت عاصمة الصفويين وكانت مؤشراً لانتهاء الأسرة الصفوية ذاتها.

تسلم الأمير محمود الأفغاني سلطة البلاد وبدأ الأفغان يراقبون سير الأعمال فعاملوا الفرس والأوروبيين معاملة جيدة ومما يلفت النظر في الأمير أو الشاه محمود بأنه كافأ زعماء إيران الذين استمروا في ولائهم لبلادهم وأنزل العقوبة بأولئك الذين خانوا بلادهم والشاه حسين. غير أن الشاه محمود وجد أن القوى التقليدية لا تزال تتشكل خطراً على إيران وهي:

١ ـ العثمانيون من جهة الغرب.
٢ ـ الروس من جهة الشمال.
٣ ـ بقايا الأسرة الصفوية.
٤ ـ العشائر الكردية والفارسية.

حاول الشاه الجديد تدعيم حكمه بالوقوف قدر الإمكان ضد هذه القوى فبدأ أولاً بحملة للقضاء على ولي العهد الشرعي «طهمسب ميرزا» ولكنه فشل في حملته تلك، في حين وفق في احتلال مدن قم، قزوين، قاشان، وبدأت تواجه الشاه محمود مشكلة إعداد الجيش الأفغاني القليل نسبياً إذ ما قيس بالأخطار والقوى التي يمكن أن يواجهها، فحاول الشاه تجييش الفرس في جيشه ففشل في ذلك ثم حاول تجييش وحدات من أفغانستان ذاتها ولكنه لم يوفق لأنه سبق له أن استغل طاقة أفغانستان البشرية عسكرياً. من جهة ثانية واجه الشاه محمود بعض الثورات الجديدة ضد حكمه وأهمها ثورة قزوين وتحركات معادية في مناطق أخرى وقد أسهم ذلك في تناقص عدد أفراد جيشه ولم يجد وسيلة لزيادته إلا بواسطة تقريب الأكراد إليه فعمل على تجنيدهم في الجيش الأفغاني وبواسطة هذا الجيش الجديد شن الشاه محمود الأفغاني حملات على المدن الثائرة. وفي الوقت نفسه كان على الشاه محمود أن يواجه الشركات الأجنبية المسلحة وأيضاً كان عليه أن يواجه الروس الذين احتلوا بعض المناطق الأفغانية والذين ضايقوا الشاه محمود باتفاقهم مع العثمانيين عام ١٧٢٤ م.

والحقيقة فإن المشكلات المحلية والإقليمية والدولية أرهقت الشاه محمود الأفغاني وضغطت عليه لتغيير سياسته العادلة بارتكاب بعض المذابح ضد الفرس وضد بقايا الأسرة الصفوية وقتل الآلاف من أفراد الشعب الأمر الذي أدى إلى اتفاق القادة الأفغان على عزله بعد أن أصيب بالجنون فعلاً عام ١٧٢٥ م ونصبوا مكانه الأمير أشرف من أفغانستان، ولكن الشاه الجديد لم يستطع في الواقع أن

يواجه المشكلات ذاتها التي سبق أن واجهت الشاه محمود الأفغاني وهكذا يلاحظ بأن فارس كانت تتنازعها عدة قوى في هذه الفترة هي :

١ ـ الشاه أشرف الأفغاني .
٢ ـ ولي العهد السابق طهمسب الصفوي .
٣ ـ السلطان العثماني .
٤ ـ القيصر الروسي .

ويمكن القول بأن الفترة المقبلة أدت إلى تغير الأوضاع الداخلية ومن ثم تولى الحكم نادر شاه الذي حكم فترة في إطار من الصراع الفرنسي والبريطاني والروسي والعثماني .

مشكلة الحدود الإيرانية ـ العراقية وإبعادها المحلية والدولية

تعتبر مشكلة الحدود بين إيران والدولة العثمانية من المشكلات المعقدة ، ففي هذه الفترة طرحت قضية عربستان التي كانت موضع خلاف بين إيران والدولة العثمانية وقد تزايد الخلاف لا سيما بعد تولية نجيب باشا ولاية بغداد (١٨٤٢-١٨٤٧) وتزايد الخلاف حول السليمانية في كردستان التي كان الإيرانيون يطالبون بها أيضاً على غرار مطالبتهم عربستان وقد هددت السلطات الإيرانية بإرسال جيش لاحتلال البحرين والكويت وطالبت بلواء السليمانية وعربستان حتى القرفة وبإبعاد الأمراء الفرس عن بغداد الذين كانوا يتآمرون ضد الشاه ، فما كان من العثمانيين إلا أن جهزوا أنفسهم عسكرياً للرد على هذه التهديدات وبدأت المناوشات فعلاً بين الجانبين غير أن التدخل الروسي والبريطاني لدى الدولتين جمد العمليات العسكرية . وكان أول مشروع للحدود بين الدولتين هو مشروع بريطاني من

وضع الانكليزي لايارد وفي هذا المشروع جعل لايارد المحمرة تابعة للدولة العثمانية وجعل نهر «بهماشير» المنفذ المائي الوحيد لفارس في عربستان مؤكداً أن الحفار قناة صناعية وليس للدولة الإيرانية أي حق للملاحة في شط العرب لأن نهر «بهماشير» يسد حاجات إيران كمنفذ لها إلى الخليج.

اتخذت لجنة الحدود مدينة «أرضروم» مقراً لها وأخذت تجمع الوثائق المتعلقة بالحدود في عام ١٨٤٣ م غير أن اللجنة لم تستكمل أعمالها بسبب العمليات الحربية التي قام بها نجيب باشا ضد كربلاء مما سبب انزعاجاً لدى الإيرانيين فقدموا مطالب شديدة اللهجة إلى الحكومة العثمانية منها إقالة والي بغداد ودفع تعويضات لمنكوبي كربلاء، غير أن الدولة العثمانية لم تقبل بهذه المطالب ولكن وساطة انكلترا وروسيا نجحت في تسوية واستيعاب هذه الأزمة وبالرغم من هذه التسوية غير أن كل من إيران والدولة العثمانية كانت لها مطالب ومطالب مضادة.

غير أنه في عام ١٨٤٧ تم الاتفاق بين الدولتين على اقتسام منطقة «زهاب» على أن تتنازل إيران عن أية مطالب لها في السليمانية مقابل تنازل الدولة العثمانية عن المحمرة وجزيرة الخضر وأن تحدد الضرائب على التجار الإيرانيين ٤٪. ثم شكلت لجنة لتسوية مشكلات الحدود كلها من مصب شط العرب حتى الحدود المشتركة عند الأناضول وقد انتهى الأمر بأن حصلت إيران بموجب معاهدة ١٨٤٧ على عربستان بينما تخلت عن جميع مطالبها في السليمانية وكردستان وفي عام ١٨٦٩ وقعت الدول الأربع: العثمانية والإيرانية والبريطانية والروسية على بروتوكول يضمن

اعتراف الدولتين المتنازعتين «العثمانية ـ الإيرانية» بخط الحدود المبين على الخريطة التي وضعتها لجنة الحدود.

غير أن المشكلات كانت تبرز بين الحين والآخر مما أدى إلى عودة مشكلة الحدود إلى الظهور عام ١٨٧٦ واجتمع الجانبان أكثر من مرة ولكن دون التوصل إلى أية نتيجة. ونتيجة لبعض التطورات الداخلية في الدولة العثمانية وقيام ثورة جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ وتنامي حركة التتريك المناهضة للعرب بعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش عام ١٩٠٩[١] انعكست هذه الأحداث على الأوضاع في العراق وعلى العلاقات مع إيران وتم التوصل إلى بروتوكول بين الدولتين عام ١٩١٣ تم فيه الاتفاق على موضوع الحدود بين الدولتين واستمرت هذه المشكلات عالقة رغم الاتفاقيات المتكررة ورغم سيطرة بريطانية بعد الحرب العالمية الأولى على العراق.

تفاقم التدخلات الأوروبية وظروف نشأة الثورة الإسلامية[٢]

لما عاد حكم إيران للإيرانيين بدأت إيران تتطلع إلى أفغانستان فهاجمتها عام ١٨٣٣ فما كان من حاكم أفغانستان إلا أن تحالف مع البريطانيين لرد الهجمات المحتملة ضد مملكته واعتبرت بريطانيا

(١) للمزيد من التفصيلات الوافية أنظر كتابنا: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩، وكتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد عن العرش ١٩٠٨-١٩٠٩.

(٢) أنظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، د. عبد العزيز نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران).

أن التحرك الإيراني ضد أفغانستان كان بإيعاز من الروس ولكن الشاه احتوى الموقف بالاتفاق مع البريطانيين وذلك في هذا العهد وفي عهد الشاه ناصر الدين عام ١٨٤٨. وبالمقابل استطاعت بريطانيا أن تمسك بسياسة أفغانستان وأن يكون لها نفوذ في إيران ولكن روسيا لم تترك بريطانيا تتصرف منفردة في إيران بل كانت لها بالمرصاد حيث بدأ الصراع والتنافس واضحاً بين الدولتين على إيران وكان الشعب الإيراني ينظر إلى الشاه وإلى القوى الأجنبية على أنها مستغلة وتتصرف بالبلاد وفق إرادتها ومصالحها.

لقد أثارت التصرفات الاستعمارية الأوروبية في البلاد الإسلامية حفيظة الشعوب في المشرق والمغرب على السواء فقد ضاعت امبراطورية المسلمين في الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي البريطانيين وضربت بريطانياوروسياوالنمسا عام ١٨٤٠. عبر تسوية لندن أول محاولة في التاريخ الحديث لإقامة وحدة إسلامية بين مصر وبلاد الشام بزعامة والي مصر محمد علي باشا كما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ واحتلت فرنسا تونس والجزائر ومناطق في غرب ووسط أفريقيا...

لقد كانت هذه المعاناة للشعوب الإسلامية قد أثارت حفيظة المصلحين والمفكرين المسلمين وفي مقدمتهم السيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده[1] والسيد محمد رشيد رضا الذين

(١) أنظر كتاب جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: العروة الوثقى.

طالبوا بتحقيق الجامعة الإسلامية. لقد كان جمال الدين الأفغاني في مصر في عهد الخديوي توفيق. وفي عام ١٨٨٦ وبعد أن سمع الشاه ناصر الدين عن أفكار الأفغاني دعاه إلى زيارة طهران وبعد أن شعر الشاه أن الأفغاني يمكن أن يكون خطراً على النظام حاول طرده من البلاد، غير أن أفكار الأفغاني شكلت تياراً إسلامياً في إيران. ومن بين المشكلات التي أثارها الأفغاني مشكلة احتكار التنباك بواسطة البريطانيين. فرأى في هذا الاحتكار ضياع لثروات المسلمين في إيران فاتفق مع المجتهد الأكبر على إصدار فتوى في تحريم شرب التنباك وتحريم بيعه للبلاد الأجنبية. وقد تجاوب الشعب تجاوباً تاماً مع هذه الفتوى مما اضطر الحكومة الإيرانية إلى العدول عن ذلك الامتياز للشركة البريطانية وبعد أن قام الشاه بطرد الأفغاني من البلاد تخوفاً من استفحال خطره على النظام شن جمال الدين الأفغاني من على صفحات جريدة القانون الانكليزية[1] هجوماً شديداً على الشاه وكانت هذه الصحيفة تصل من لندن إلى إيران خلسة ومما زاد في تدهور الأوضاع وتزايد النقمة الشعبية الإسراف الباهظ في وقت كان الناس يتقاتلون للحصول على الخبز في طهران. ونتيجة لأفكار الأفغاني فقد سقط الشاه ناصر الدين صريعاً عام ١٨٩٦ أي قبل سنة من وفاة الأفغاني على يد رجل إيراني من المؤمنين بأفكار الأفغاني الإصلاحية الذي قال له عندما نفذ عملية القتل «خذها من يدي جمال الدين» وقد تولى الحكم مكانه مظفر الدين الشاه ١٨٩٦ـ١٩٠٧ وفي عهده سارت

(١) تأسست صحيفة «القانون» في لندن عام ١٨٩٠ بواسطة الأمير «ملكوم خان» الأرمني بالاشتراك مع السيد جمال الدين الأفغاني.

إيران شوطاً بعيداً في سياسة عقد القروض مع بريطانيا وروسيا وقدرت هذه القروض عام ١٨٩٨ بمليون جنيه استرليني. وفي عام ١٩٠٠ وقعت إيران على قرض مع بنك روسي قدره مليونان وأربعمئة ألف جنيه استرليني وهذه القروض أدت إلى الهيمنة البريطانية والروسية على إيران في وقت كانت تتزايد فيه مظاهر الإسراف والتبذير فبدأت حركة علماء الدين ١٩٠٥ الذين اعتصموا في المساجد منددين بالشاه وبقواته التي كانت تحاصر المساجد والمعتصمين. وقد رأى المجتهدون العلماء أن يغادروا طهران والتوجه إلى قم وكانت مطالبهم تتضمن أن يصدر الشاه دستوراً جديداً وأن تؤلف حكومة برلمانية يمثل فيها الشعب وإلا فإن العلماء والمجتهدين سيغادرون إيران وكان معنى ذلك ترك البلاد معطلة دينياً حيث يتوقف فيها تنفيذ أحكام الشرع فانتهى الأمر برضوخ الشاه إلى مطالب العلماء والشعب. غير أن الدستور الجديد الذي أصدره الشاه كان ألعوبة بيده ولكن حاول الشاه إرضاء علماء الدين بمنحهم حق الاعتراض على القوانين التي يصدرها المجلس الوطني في حال تعارضها مع الشريعة الإسلامية[1].

(١) كانت شرارة الثورة الأولى عام ١٩٠٥ بسبب الطغيان الذي مارسه الشاه ضد الإيرانيين وأساليب الجلد بحق التجار، ثم أعقبتها حركة العلماء الثانية عام ١٩٠٦ وهجرتهم إلى مدينة «قُم» المقدسة، ثم ثورة عام ١٩٠٩، ثم الاستياء الشعبي عام ١٩١٢ من جراء حصار تبريز وقصف الروس لضريح الإمام الرضا وخلال أعوام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ـ١٩١٨) كانت الحركة الإسلامية المسلحة في شمال البلاد بقيادة «ميرزا كوجك خان» مستمرة في النضال، وفي آذربيجان كان الجهاد الإسلامي الشعبي يتصاعد وينمو. وفي خراسان كان يقود النضال الكولونيل «محمد تقي خان». وفي

في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٧ تولى العرش محمد علي شاه بعد وفاة مظفر الدين ولكن عهده لم يكن عهداً موفقاً نتيجة ازدياد تدخل بريطانيا وروسيا في البلاد بل وتقسيم فارس إلى منطقتي نفوذ بينهما ونتيجة لازدياد الفقر والتبذير في مختلف القطاعات، ابتدأت الثورة من تبريز وامتدت إلى رشت وأصفهان وطرد الثوار القوات الملكية. وكانت الثورة بقيادة سبه دار وقيادة زعيم عشائر البختيار سردار أسعد. لقد تقدم الثوار الإيرانيون نحو طهران وفر الشاه لاجئاً إلى السفارة الروسية ثم أبعد عن البلاد ورفع إلى العرش ابنه القاصر الأمير أحمد الذي كان تحت الوصاية وكان عهده بداية النفوذ الأميركي حينما استعان بالخبراء الأميركيين لتنظيم أوضاع إيران[1].

وبالرغم من حياد إيران في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ـ١٩١٨ غير أنها تأثرت بهذه الحرب بشكل أو بآخر وتعرضت إيران لعمليات عسكرية ولم تتوقف هذه العمليات إلا بعد هزيمة الأتراك في العراق عام ١٩١٧ وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا في العام ذاته.

كل نواحي إيران كانت الثورة الشعبية الإسلامية في تفاقم وتصاعد. واستمرت الثورات الشعبية حتى استقالة حكومة «مصدق» الوطنية عام ١٩٥٣ ثم تكررت تلك الحركات والثورات حتى عام ١٩٧٩ أنظر: صاحب حسين الصادق: قصة الانتصار الكبير (تاريخ الثورة الإسلامية في إيران) ص ١٧ـ٢٠ دار المنهل ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(١) بناء على اقتراح ناظر الخارجية الأميركية عين أحد موظفي بنك (Union Trust) في واشنطن «مورفان شوستر» (Morgan Shuster) أميناً عاماً للخزانة الفارسية، يعاونه أربعة مساعدين من مواطنيه الأميركيين.

في عـــام ١٩٢٠ تخلت روسيا عن مـطامعهـا في الأراضي الإيـرانيـة بعـد معـاهـدة (Brest-Litovsk) بينمـا بـريـطانيـا تثبتت بالأراضي الإيرانية المحتلة. إن المعاهدة الإيرانية البريـطانية عـام ١٩١٩ كبلت الشعب الإيراني ووضعته تحت الحماية البريطانية مما أثار نقمة الشعب الذي طالب هذه المرة المؤازرة من الثورة الروسية باعتبارها ثورة ضد القيصريـة وضد الفسـاد. في وقت تهيأ لإيـران ضابط من ضباط فرق القوزاق هـو رضا بهلوي الـذي تحالف مـع الزعيم ضياء الـدين طباطبـاني فزحف بقـواته إلى طهـران وسيطر عليها في شباط (فبراير) عـام ١٩٢١ فخضع الشـاه لإرادة الشعب وأحدث تغييراً وزارياً عين رضا بهلوي بموجبه وزيراً للحربية. وفي الفترة «١٩٢١ـ١٩٢٥» أثبت رضا بهلوي قدرة على التحرك وتثبيت النظام فأصبح الرجل الأول في إيران في الوقت الذي كان فيه الشاه أحمد القاجاري في أوروبا قـد تزايـدت النقمة عليـه وقرر الشعب خلعه وأعلن المجلس النيابي التمثيلي رضا بهلوي شاهاً على إيران في نيسان (أبريل) عام ١٩٢٦ وبذلك انتهت الأسرة القاجارية وحل محلها رضا بهلوي الذي استمر في الحكم حتى عام ١٩٤١ وتوفي عام ١٩٤٤ فحل مكانه ابنه عام ١٩٤١ محمد رضا شاه الذي حكم لغاية عام ١٩٧٩ عهد قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمـام آية الله الخميني[1] وهو الذي قاد الثورة أولاً من العراق ثم واصـل

(١) للمـزيـد من التفصيـلات عن حيـاة وسيـرة الإمـام آيـة الله الخميني (١٩٠٢ـ١٩٨٩) أنظر كتاب: عبرات وعبارات الصادر بمناسبة وفاة الإمام الخميني في شوال ١٤١٠ هـ ـ أيار (مايو) ١٩٩٠ عن المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيـرانية في بيـروت. أنظر أيضـاً كتاب: صـاحب حسين الصـادق المـذكـور سـابقـاً، ص ٢٣ـ٢٦ وصفحـات متفـرقـة من الكتاب.

قيادتها من باريس وانتهت برحيل الشاه ونفيه خارج البلاد متنقلاً بين دولة وأخرى إلى أن توفي ودفن في القاهرة حيث كان الرئيس أنور السادات قد استضافه فيها وبعد عودة الإمام آية الله الخميني وإجراء التعديلات اللازمة ألغي النظام القديم وأقام مكانه النظام الجمهوري الإسلامي.

ـ مؤلفات وبحوث د. حسان حلاق
(تطلب من دار الراتب)

١ ـ موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩.
٢ ـ دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩.
٣ ـ موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٥٢.
٤ ـ دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣.
٥ ـ التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢.
٦ ـ لبنان من الفينيقية إلى العروبة (دراسات لبنانية وعربية ١).
٧ ـ أية ثقافة أية سياسة للتعايش في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٢).
٨ ـ الجذور التاريخية للميثاق الوطني اللبناني والاتجاهات الوحدوية والانفصالية في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٣).
٩ ـ الأبعاد الطائفية والسياسية في مواقع الحكم والسلطة في لبنان (دراسات لبنانية وعربية ٤).
١٠ ـ اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية (دراسات لبنانية وعربية ٥).
١١ ـ دور اللبنانيين في معركة النضال العربي (دراسات لبنانية وعربية ٦).
١٢ ـ مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦.
١٣ ـ أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ـ سجلات المحكمة الشرعية في بيروت.

١٤ ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية ـ سجلات المحكمة الشرعية.

١٥ ـ بيروت المحروسة في العهد العثماني.

١٦ ـ مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات.

١٧ ـ العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ـ الأندلس ـ صقلية ـ الشام.

١٨ ـ المؤرخ العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ ـ ١٩٧٨.

١٩ ـ مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨.

٢٠ ـ العلامة الدكتور عمر فروخ ١٩٠٦ ـ ١٩٨٧.

٢١ ـ تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي.

٢٢ ـ الإدارة المحلية الإسلامية ـ المحتسب ـ.

٢٣ ـ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية.

٢٤ ـ تاريخ العلوم عند العرب بالاشتراك مع د. ماهر عبد القادر.

٢٥ ـ تاريخ العلوم والتكنولوجيا.

٢٦ ـ ملامح من تاريخ الحضارات.

٢٧ ـ دراسات في تاريخ المجتمع العربي بالاشتراك مع د. عبد العزيز قانصو، ود. عدنان السيد حسين، د. مصطفى فواز.

٢٨ ـ مقدمة في تاريخ العرب بالاشتراك مع د. عبد العزيز قانصو، د. مصطفى فواز.

٢٩ ـ مدن وشعوب إسلامية.

الفهرس

الناشر : دار الراتب الجامعية
سوفنير

مدن وشعوب إسلامية ـ ملامح تاريخية ـ

■ هذه السلسلة ، يمكن اقتنائها بأربع كتيبات منفصلة كل كتاب يحتوي على عدة مدن تعالج ملامح من تاريخ المدن والشعوب الإسلامية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية.

■ وهي أيضاً متوفرة بمجلد كامل أنيق يحتوي كافة الموضوعات في الكتيبات الأربعة.

هام جداً،

4

الكتاب الرابع

• سمرقند • قازان
• كوسوفا • باماكو • نيامي • دكار
• لاغوس • زنجبار • إيران!

تباع هذه الكتب لدى:

• بيروت : مكتبة سوفنير ـ دار الراتب ص. ب ١٩/٥٢٢٩ تلفون ٣١٢٩٢٣ بيروت لبنان.
• القاهرة : هلا بوك شوب ـ تلفون ٣٤٤٩١٣٩ المهندسين ـ الصحافيين
• عمان : مكتبة الراتب العلمية ـ تلفون ٦١٥٤٤٨ قرب عبدلاوي ـ الأردن
• الكويت : وكالة المطبوعات ـ تلفون ٢٤٣٢٢٩٦
• الشارقة : مكتبة دار الحياة ـ مكتبة الآداب • دبي : مكتبة دار الفكر